روايات تيوليب للجيب
(٢) ذات الوشاح الأخضر
رانيا حجاج

روايات تيوليب، العدد الثاني
ذات الوشاح الأخضر... رانيا حجاج
الطبعة الأولى أبريل ٢٠١٤
الطبعة الثانية نوفمبر ٢٠١٤
تصميم الغلاف : م. دعاء عبد اللطيف
تنسيق وتدقيق لغوي : رباب الشهاوي
المدير العام : رباب الشهاوي

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠١٤/٨٥٤٠

سلسلة تيوليب عربية مائة في المائة ولا تشوبها شبهة الترجمة أو النقل. تصدر بشكل دوري عن دار الفؤاد للنشر والتوزيع.

Alfouad_publishing@hotmail.com





روايات تيوليب للجيب

(٢)

ذات الوشاح الأخضر

رانيا حجاج



إهداء

إلى والدي أطال الله عمرهما . .

إلى إخوتي . .



(١)

كان العالم حول نادية محطماً ومبعثراً وهي تحاول جمعه في صناديق كبيرة، تلك التي ستنتقل معها إلى عالمها الجديد. كانت تجمع أشيائها أعلى الخزانة، عندما سقط ألبوم صغير، زهري اللون، يحمل بداخله بعضاً منها وبعضاً منهم. وكأنه يسرد بداخله أحداث الماضي كلما فتحته، ليذكرها بنصفها الضائع بين أشيائها في الصناديق.

أخذت تمسح التراب عنه، وتلتمس أول صورة وضعت به، تلك الصورة التي جمعتها بصديقة الدراسة نهى يوم تخرجهما. نهى بشعرها الأجعد، وسمارها الكاكاوي الجميل، وابتسامتها المتفائلة دائماً.

كانت نهى فتاة أسكندرانية، شجاعة وطموحة، توفيت والدتها وهي صغيرة عقب المرض الذي ألم بها وهي في ريعان الشباب. كانت نهى محبة للحياة بشكل غير طبيعي، تحمل بداخلها من أفكار حرية المرأة ما كان يزعج نادية في بداية الأمر.

ها هي نهى بجانب نادية، بمعاطف التخرج وأكاليل الزهور تلتف حولهما، تفوح منهما رائحة الخريجين الجدد. أخذا يومها يحتفلان باليوم الذي أنزل فيه الستار على آخر فصل من فصول

سنوات الدراسة الأربع، وأخذت نهى تلتقط لنادية بعضاً من الصور التي توضعت فيها بقصد أو بدون.

تتأمل نادية ملامحها التي بدت مختلفة، فلم تعد تحمل تلك البراءة في عينيها السوداوين، ووجهها الممتلئ بالحب.. تتأمل قليلاً قصرها الطبيعي الذي ساعدت أحذية الكعب العالي على مسحه، وذلك الجسد الذي أخذ هيئة فاكهة الكمثرى في توضعه وامتلائه، تتنهد الصعداء وهي تطالع المرآة مرة أخرى وتبتسم لهذا التغيير.

بالرغم من كون نادية سعيدة بهذه الصور، إلا أنها لم تكن تشتاق لحياتها بالماضي كما لن تشتاق إليها في المستقبل. فمنذ جاءت من قريتها الصغيرة بجانب القاهرة، وهي ترتدي الترحال زياً رسمياً. جاءت إلى المدينة التي استقبلتها بأحضانٍ واسعة، تحتضنها بقوة، حتى كانت لتُقسم بأن ضلوعها تختلف بصدرها، مخلفةً الكسور.

شاركتها نهى غرفتها في منزل الطالبات المغتربات، تشاركا وقتها الحياة والجامعة وحتى التخصص نفسه، فكلاهما يدرس اللغة الإنجليزية بكلية اللغات. ورغم عدم وجود توافق بينهما في البداية، استطاعتا العثور على طريقة للتعايش.

رغم ما تحمله نهى من ملامح شرقية، عكست شخصيتها ملامح الفتاة الغربية مع احتفاظها بأخلاقها العربية. فقد كان هدفها الأول البحث عن الحرية في مجتمع لا يعرف ماهية المرأة على حد قولها، ولا يعطي الحرية إلا لمن يشاء.

وكفتاة ريفية اعتادت التفكير في النطاق المسموح لها، كانت نادية دائماً ما ترى أفكار صديقتها جريئة، فقد اعتادت على ما نشأت عليه من مفاهيم. فالمرأة خُلقت لتكون زوجة وأم، تعتني بأسرتها مكتفيه بهذا الدور، كما هي أمها وزوجة خالها، وجميع نساء عائلتها. فلم يُخلق الرجل ليعتني بنفسه، هناك دائماً المرأة التي تعتني به، من أمه حتى زوجته وبناته. لم تتذكر يوماً أن قام والدها بعمل شيء، حتى ملء كوبه بالماء، فأمها من تعتني به، وأن سألتها عن أمنيتها، ستجيبك بأن يرضى عنها زوجها، والذي يصعب إرضاؤه كثيراً.

أمضت نهى معظم أوقاتها تشرح لها حقها في الحياة.. في تحقيق طموحاتها.. حقها في أن تخرج من تلك الدائرة التي تظل طوال حياتها تدور فيها، دون تحقيق شيء. كان لكلماتها فعل السحر الذي كان يبعث بقلبها شعوراً مغايراً، له برودة الثلج وصفائه.. انه الأمل. الأمل في تغيير وجهتها في الحياة، لتكمل

حلمها الذي تدخل والدها بتغييره، في ان تكمل دراستها العليا بعد التخرج. فقد اكتفى والدها بتغيير النهاية كما يراها هو، بأن تكون عروس احدهم.

في ذلك اليوم، نادتها نهى بعد الحفل..

_نادية.. تعالي بسرعة..

_إلى أين؟..

_سنذهب لنحتفل بنهاية سنوات التعذيب؟

سنوات التعذيب.. يا لها من سنواتٍ لم تستطع ذاكرتها المرهقة نسيانها، برغم عذابها إلا أنها الفترة الوحيدة التي شعرت فيها بطعم الحياة. يومها ذهبتا لأحد المطاعم الذي اعتادتا الذهاب إليها لتناول الطعام السريع فيها. فكمغتربة مرت على طاولات الغربة جميعها، تلتقط منها طعامها بسرعة، ولحظاتها بسرعة، وحتى أنفاسها كانت بسرعة. دفعتا وقتها ما معهما وخرجتا عائدتين إلى المنزل.

أن تعيش بعيداً عن منزلك، غربة تعادل في طياتها غربة الوطن، وان كانت الغربة في الوطن ذاته. فالغربة تكسبك مع الوقت غربة النفس، فتمر السنوات لتكتشف أنك أصبحت شخصاً أخر لا تعرفه. هو أنت وأنت هو، كنصفين اجتمعا من جديد، نصفٌ من

الماضـــي ونصـفٌ مــن الحاضــر، يجتمعــان ليبحثــا عــن ذاتهــم المستقبلية.

عادت نادية لذكريات ذلك اليوم، عندما أخذت تبكي بعد عودتهما إلـى الغرفـة علـى حياتهـا القادمـة التـي خافـت أن تنطـوي بـين اختيـارات عائلتهـا المحـدودة. لـم تسـتطع النـوم ليلتهـا، وكـأن نهارهـا لـم ينتـه بغـروب شمسـه. وهـا هـي الشـمس سـتلامس السماء بخيوطهـا الذهبيـة، ليعلن ضوئها اقتـراب وقـت الرحيـل، وأن والـدها بانتظارهـا بالأسـفل. شـعرت نهـى وقتهـا بقلقهـا، فاقتربت من سريرها بهدوء، مضيئةً لمبة الأبجورة..

_نادية.. ألم تنامي بعدّ؟

_لا أستطيع النوم.. هل أقلقتك؟

_بالطبع لا يا نادية.. لماذا لا تنامين؟.. هل تفكرين بالغد؟

_ربما قليلاً.

_لا تقلقي.. فأنا على ثقـة بأنـك ستحققين حلمك يومـاً مـا.. ولكن جاهدي لتحقيقه.

_نعم.. ربما يوماً ما.

هكذا أجابتها بسخرية، وهكذا انتهت ليلتها الأخيرة، قبل أن يـأتي الصباح لتتصل بها مديرة المنزل لتخبرها بأن والدها ينتظرها.

عانقت نهى بقوة، وكأنها تتمسك بما تمثله لها من حياة جديدة كانت قد أحبت الانخراط فيها. كانت تمسك بها متمنية ألا يجذبها أحدٌ من الخلف، ليعيدها لسابق عهدها، كما فعل والدها.

يا لها من أيام تلك التي لا تكف عن العودة إلينا لتذكرنا بأنفسنا كيف كنا وكيف نحن الآن. فاجأها رنين هاتفها المحمول، والذي قطع سير تلك اللحظات المقصوصة من ذاكرة الزمن، كانت شهيرة مساعدتها الخاصة تذكرها بموعد جلسة التصوير.

ربما حان الوقت الآن لتغير ملابسها والذهاب.

****

(٢)

_أنها السادسة، لقد تأخرتِ يا أستاذة نادية عن الموعد. تعلمين بأن مثل هؤلاء لا ينتظرون.

هكذا بادرتها شهيرة عند دخولها المكتب. نظرت وقتها إليها بحدة، وبحاجبٍ مرفوع أجابتها..

_مثل هؤلاء إن لم يرغبوا بالانتظار فلا يجب أن يزعجوا أنفسهم بالحضور لأناسٍ مثلنا. هل فهمت؟

نظرت هي للأسفل بخجل وانطلقت أمامها تفتح لها الأبواب. كانت الفنانة دلال تنتظرها بالداخل وقد بدا عليها القلق والامتعاض من تأخرها. الفنانة دلال هي إحدى الفنانات التي بدأت طريقها بفيديو كليب سقط بها أكثر مما هي عليه، ها هي الآن وقد عادت بعد أن تعرفت على رجل الأعمال مدحت الذي أخذ ينفق على كليباتها الهابطة.

_أوه.. فنانتنا الجميلة هنا.. مرحباً بكِ.. أعتذر عن تأخري يا عزيزتي.. تعلمين؟

نظرت لها بابتسامة مصطنعة، تعكس سواد قلبها..

_لا بأس.. فأنا أعرف كيف هي مشاغل المصورين.

_لست كأي مصور.. وأنت تعلمين..

ألتفت نادية لشهيرة، وأشارت لها بأخذ دلال لغرفة تبديل الملابس، وأخذت هي تشغل نفسها بإخراج بعض أوراق مكتبها وبدون اهتمام أضافت..

_يمكنك مرافقتها الآن.. أرجو أن تكوني جاهزة بعد نصف ساعة..

رافقت شهيرة الفنانة دلال، واتجهت نادية لغرفة التصوير المجهزة بكل ما يلزم أي مصور ناجح. غريب أن تحول فتاة مثلها طموحها الأكاديمي إلى طموح عملي، أليس كذلك؟ ولكنها قدرة الحياة على إيجاد طرق مختلفة، لتعوضنا بها عن فوات إحدى المحطات، في طريق حياتنا السريع. نظرية أيجاد البديل هي النظرية التي وجدت طريقها إليها، بعد أن حمل الأمل بإكمال دراستها حقيبته مغادراً.

فبعد أن بات زواجها من أبن أحد أصدقاء والدها، الذي لم تلتقه يوماً، حتمياً؛ اكتشفت مع الأيام أن زواجها منه لم يكن بذلك السوء الذي اعتقدته. فقد أعادها إلى أحضان المدينة، التي استقبلتها بابتسامة تفوح منها رائحة الدخان. ساعدها وائل على أن تلتقي بذاتها الضائعة، ولم تعرف يوماً سبب عشقه لها، رغم علمه أنها لا تكن له ذات المشاعر. ربما لأنه سر من أسرار

الحب الذي يفقد لذته ما أن يعرفه الجميع، أو ربما لأنه كما يقولون "الحب أعمى".

كان وائل شاباً جميل الهيئة، هادئ الطباع، يرى العالم من عدسته، ببساطة كان فناناً. جمعهما ماضيهما المشترك، فلم يسمح له والده أيضاً بتحقيق حلمه بأن يكون مصوراً، حيث أرغمه على دراسة الهندسة. هو من علمها كيف تمسك عدسة الكاميرا لأول مرة، فكل ما اعتادت عليه هو إمساك كاميرا هاتفها المحمول والتقاط الصور بها. صحيح أن كلاهما يلتقطان الصور، ولكن عدسة الكاميرا الاحترافية هي الوحيدة التي ترى من خلالها ما تريد رؤيته بألوانه الطبيعية. هكذا علمها وائل، أن ترى العالم بعيني عدستها. فأن ترى العالم بعينين مختلفتين أقرب لأن تعيش بشخصية مختلفة ترى الواقع متجرداً من ثيابه المزركشة.

صوت بعض الطرقات على الباب كان كافياً ليفيقها من غفلتها. كانت شهيرة تخبرها بأن دلال جاهزة. أقبلت دلال تجر ثوبها الساري، وقد بدا عليها الامتعاض...

_ماذا هناك؟ هل من مشكلة؟

_ما هذه الملابس؟ ألا يمكنكِ تخيل منظر تصويري أخر؟

_وما العيب في هذا المنظر؟ ألا تحبين الزي الهندي؟

_لا أبدو جميلة في هذه الملابس.

_هكذا ترين نفسك.. ولكن ما يهم هو ما أراه أنا.. لم تأت إليّ إلا ثقةً بي، أليس كذلك؟

نظرت إليها دلال، وكأنها تبحث عن كلماتٍ لتخبرها ما كانت تعرفه مسبقاً، فقاطعت أفكارها قائلة..

_لا تقلقي.. فهو يظهر مفاتنك بشكلٍ جيد..

ابتسمت بعد ان ارتاحت لكلماتها الواهية، وأخذت تتوضع كما تطلب منها، حتى انتهت من جلسة التصوير. تقدمت إليها شهيرة بعد خروج دلال لتبديل ملابسة هامسةً...

_من الجيد أنكِ قلتِ لها ذلك.. لقد اعتقدت بأنك ستصرخين بها..

نظرت لها نادية بابتسامة تعجب، وطلبت منها ان تجهز لها بعضاً من النسكافيه، فأمامها عمل كثير.

كثيراً ما يقال لنادية إنها قاسية، ربما لأنها تأخذ أمور حياتها بجدية، راسمة بذلك خطوطاً ملونة حول مساحاتها الخاصة والعامة، التي يحاول الكثيرون اقتحامها بعجرفتهم.

****

(٣)

الصدفة هي الصفعة التي تهديها الحياة لمن اعتقدوا أن باستطاعتهم النسيان وترك الماضي بين مخلفات ذاكرتهم المنسية، فلا ينجو منها أحد إلا من لم يعرف الفراق قط.

كان دورها ذلك اليوم في أخذ صفعتها حين التقت بسامح، حلم الفتيات أيام الجامعة، وكابوس شبابها. أحبته يوماً بصدق حين أحبها هو بنذالة. كان شاباً ثرياً، ذو شعرٍ ينساب حتى أذنيه، وعينان عسليتان تشبه إلى حد كبير عيون الفنانين الأتراك الجميلة.

ما أن يدخل بسيارته الأسبور الزرقاء حتى تفتح الفتيات أفواههن، كمن قطع عن رأسه الأكسجين. ينظرن إليه ببلاهة في حين ينظر إليهن بلا اكتراث. ربما عدم الاكتراث هو الحيلة الناجحة التي يستخدمها بعض الرجال، ليحظوا باهتمام النساء حولهم، ليزيدوا من تشبثهن بهم. بينما لا ترى النساء أنها محاولة استغاثة من شخصٍ يخشى البقاء وحيداً.

برغم كرهها له في البداية، إلا ان كلماته انطلت على عقلها البسيط، ليصور لها أنه الحلم المفقود. هكذا كان هو بالنسبة لها، بينما كانت له أداة يحصل بها على محاضراته وتجهز له أبحاثه.

ربما تغاضت عن بعض حقائقه، كما نتغاضى عن حقائق كثيرة من أجل الحب، حتى يخلف ورائه الأشواك التي تدمي أقدامنا العارية إلا منه.

لم يكن لقائها به أسطورياً، فقد كان يمتلك معرض السيارات الذي خلفه له والده بعد وفاته، وبعد أن أعطى ممتلكاته الأخرى لفتاة في العشرينات كان قد أحبها وتزوجها سراً. عرفته منذ الوهلة الأولى، لم تغيره السنون كثيراً كما غيرتنها، ما زال صاحب العينين العسليتين والكلام المعسول على الرغم من تقدم معدته بضع انشات للأمام..

_مرحباً سيدتي.. بم أخدمك؟

_مرحباً سامح.

_تعرفينني؟ أعذري ذاكرتي يا سيدتي، التي استطاعت نسيان امرأة بجمالك ورقتك..

_لا بأس.. ما زلت كما أنت.. أسمع.. لقد كنت ارغب بتبديل سيارتي القديمة..

_تبديل سيارة!! لقد جئت إلى المكان المناسب. ولكن هل لك ان تنعشي ذاكرتي باسمك اللطيف؟

_نادية.. أنا نادية..

_نادية!! لم يمر عليّ هذا الاسم مسبقاً.. هل اشتريت سيارة من معرضنا من قبل؟

_كدت يوماً أن أفعل ولكن الله أنقذني، قبل أن أخسر كل شيء..

_لماذا تقولين هذا يا سيدتي؟ هل هناك ما يعيب سيارات معرضنا؟ أو ربما أزعجك احد العاملين هنا؟

_ربما هناك من أزعجني بالفعل.

_أخبريني فقط باسمه، كي أقوم بفصله..

_لا داعي، فلن تقوى على فصله..

_أنا أصر يا سيدتي.. أرجوك اخبريني باسمه..

_أسمه سامح..

_ماذا؟.. أنا.. كيف؟.. أنا لا أتذكر لقائك قبل هذه المرة..

_لديك الكثير من الوقت لتتذكر بمفردك سنوات الجامعة.. بينما أتركك أنا.. فلدي الكثير من العمل..

تركته وعيناه معلقتان بها، وكأنه يحاول أن يتذكر من هي، يتذكر تلك الفتاه التي كانت له لعبة وتسلية لأصدقائه الحمقى بحكايات حبها ورسائلها وهداياها. قاطع تفكيره الحائر صوت محرك سيارتها يدور، فأسرع إليها..

_ألن تبدلي سيارتك ؟

_كلا.. غيرت رأيي.. سأبقيها معي..

لم تهتم بكونه لم يعرفها، فقد كان متوقعاً، فكيف سيتذكر رجل امرأة مرت في حياته بين ما يقارب المئات. وكيف لامرأة كان هو حبها الأول ان تنسى.

يكفيه الخمسة عشر عاماً الماضية، فهي كفيلة بان تنسيه أسمه، ربما لم يحن وقته ليأخذ صفعته من الحياة..

عادت يومها إلى المكتب، لتجد شهيرة في حيرة من أمرها..

_ماذا هناك يا شهيرة؟

_انه يتصل مراراً وتكراراً.. لم يعد لدي أعذار له.. ألن تتحدثي معه يا أستاذة ؟

_أنسي الموضوع.. لا ارغب بالتحدث إليه.. لماذا تخلقين أعذاراً له؟

_عندما أخبرته بعدم رغبتك بالتحدث معه.. أخبرني بأنه سيأتي لمقابلتك.. فأصبحت اختلق الأعذار خوفاً من مجيئه..

_إن رأيت رقمه مرة أخرى لا تجيبي.. هذا أمر..

****

(٤)

يأتي الليل خاصتها بأحزانه المظلمة، فما أن تستلقي في فراشها حتى تشعر بالوحدة تمتص مشاعر الشجاعة بداخلها، تلك التي حرصت على حملها معها كل صباح. مكتفيه بأن تهديها القليل من الأمان والكثير من الخوف، وكأن في الخوف أمان. تقف عاجزة أمام ذاتها، فها هي ذاتها تنظر لها معاتبة، ويالـه من عتابٍ أقرب إلى الجلد. أعتدنا أن نجلد ذاتنا إذا أخطأت، ولكن الجَلد يعكس أحياناً إذا نحن دفعناها لأن تخطئ. لم تدرِ على ماذا تعاتبها؟ ألم تختارا الطريق معاً، وتسعدان باجتياز تلك المسافات، وتخطي تلك العقبات معاً. ها هما يتجادلان مرة أخرى، ترتفع أصواتهما ثانيةً، لتتهاوى كلماتهما مع صوت رنين هاتفها المحمول.

إنها شهيرة، تذكرها مرة أخرى بموعد طائرتها المتجهة لفرنسا غداً في العاشرة صباحاً، كثيراً ما تحتار منها، ألا تنام هذه الفتاة، أم أنها أدمنت العمل لديها. تعجب نادية حماستها وجديتها في العمل، يذكرها سمارها الكاكاوي بنهى، رغم أنها تمتلك جسداً أقرب للعارضات اللاتي تلتقط لهن الصور. كثيراً ما عرض عليها العمل كعارضة، ولكنها كانت ترفض تلك العروض الثرية، بكل

ثقـة. لـم تعرف ناديـة يومـاً السبب، لكـن نظـرة شـهيرة المليئـة بالقوة والتحدي أثارت بداخلها إعجاباً بتفكيرها.

مـا أن انتهـت مـع شـهيرة حتـى عـادت ذاتهـا للحـديث، كـم كانـت ترغب بشـدة وقتهـا فـي إغـلاق هـذا الحـديث الـذي لا ينتهـي إلا بالدموع والسـهر، والـذي تفيـق منـه صباحاً تتخبط، كمن ضـرب أحدهم رأسه بعصى بيسبول. كم كانـت تتمنـى العـودة مـرة أخـرى والسقوط في النـوم حتـى الارتطـام بالقـاع البـارد، لا بـأس بالقليـل من الأحلام السعيدة، فقد أرهقتها الكوابيس في صحوها، ولم تعد ترغب بها أيضاً في منامها.

فمنذ فقدت من أفنى حياته حباً لها، منذ رحل وائل، والهموم تعلو على أكتافها، واضعة مقاعدها فـي البدايـة لمشـاهدة أفضل. نظر لهـا الجميـع وقتهـا علـى أنهـا السبب فـي رحيلـه، بينمـا نظـر لهـا آخرون على أنها محظوظة لنجاتها من هكذا شـيء، ولكنهـا رأت دائمـاً أنهـا سيئـة الحـظ. فـأي حـظٍ ذلـك الـذي يهبهـا الحيـاة مـرةً أخرى، بينما يسلبها الحياة ذاتها في الوقت نفسه؟

لـم تكـن ناديـة تشـعر بقيمـة المشـاعر التـي تكنهـا لـه إلا بعـد أن فقدتـه، تلـك المشـاعر التـي اسـتحق أن يتمتـع بالشـعور بهـا فـي اللحظـات التـي جمعتهمـا معـاً. هكـذا نحـن نعيـد تقيـيم أشـيائنا بعد

ضياعها، فالوقت الذي نقضيه في غيابهم كافٍ لأن نمر مجدداً على لحظات سبق وشاركناهم العيش فيها. لو أننا أخذنا بعضاً من الوقت الذي نهدره في التفاهات لنفكر قليلاً في ما بين أيدينا، لحرصنا أكثر على التمتع باللحظات التي نعيشها معهم. هكذا التمست حقيقتها مع وائل، أحبها كثيراً، ساندها كثيراً، دعم طموحاتها وخلق لها أفاقاً كثيرة بحب، بدون مقابل. في الوقت الذي انشغلت هي بطموحاتها عنه، دون أن تقدم له ما يستحقه.

أكتفت ليلتها باحتضان وسادتها التي اعتادت النوم عليها، والسقوط في النوم بعد أن أرهقها البكاء. لم تعلم كم من الساعات نامت ليلتها، حتى استيقظت على صوت المنبه خاصتها، ولكنها كانت أكيدة أن الساعات لم تكن الكافية لأن تكون في قمة حيويتها وانتباهها. كانت شهيرة تُعد لها القهوة، بينما هي تحاول إيقاظ أجزائها الغائبة عن الوعي بأخذ حمام، لعل تلك القطرات النقية الباردة تكون كافية بأن تصعق خلايا جسدها النائمة.

_أستاذة نادية.. القهوة جاهزة..

_دعيها على الطاولة.. وأعدي لي حقيبتي إذا سمحت..

لم تجبها شهيرة وقتها واكتفت بالصمت، لعلها تتعجب من موجة

الأدب التـي اجتاحـت ناديـة. هل أصبحت رقيقـة أم مـاذا؟ اعتـادت إعطائها الأوامر، واليوم تستميحها عذراً لتفعل ما تطلبه منها؟
لـم تكـن ناديـة فـي المـزاج الـذي يسـمح لهـا بـالتفكير فـي هـذه المواضيع، فكل ما حرصت على التفكير فيه هو الرحلة القادمة وما تحمله لها في طياتها من فرص لا يجب ان تقلل من قيمتها.
تناولت قهوتها وارتدت ملابسها واتجهت إلى المطار تصحبها شهيرة، وبيدها أجندة مواعيدها ومفكرة تصميماتها، فلم تكن كأي مصور يحمل عدسته ويمضي يلتقط كل ما تقع عليه عيناه. فقد كـان لهـا تصـور مسـبق لجميـع المشـاهد التـي ترغب فـي التقاطها، والتي تنفذها بنفس الطريقة.
ودعت شهيرة، واتجهت في طريقها إلى الطائرة التـي تنتظرها من بين كل المسافرين.
يا لهذه الحياة، لا تكف عن أرغامنا على النزول في محطاتها قبل الوصول لمحطتنا الأخيرة، الموت.
هل تخاف الموت؟ ربما، فلم يكن لقائها السابق به جميلاً.

****

(٥)

حطت طائرتها الباريسية في وطنها الأم، كالطير العائد إلى عشه بعد غياب. وتدرجت هي سلمها الحديدي إلى أسفل وهي تنظر حولها، تتأمل فراغاً كبيراً من الهواء الذي يحاول التسلل إلى مسامها، واهباً إياها بعضاً من رائحة أرضه العطرة، وأنفاسه ذات الرائحة السحرية. هكذا هي باريس في قمته زينتها، تستقبل الوافدين إليها من أصقاع الأرض، ترتدي عقداً تضيئه مصابيح عشاقها المتجولين في طرقاتها. ترفع لك قبعتها احتراماً، وهي تعلم مسبقاً بأنك ستهوي في براثين حبها.

اتجهت إلى الفندق حيث غرفتها المحجوزة، كان مدخل الفندق يعكس فخامته، سقفٌ مزخرف بأثيرٍ كريستالية تتدلى من منتصفه، يغطي المكان كراسي جلدية سوداء اللون، تتقدمها طاولات زجاجية تحملها تماثيل ذهبية اللون. استقلت المصعد وبيدها مفتاح الغرفة الالكتروني، وما ان فتحت بابها حتى أخذت تنفض عنها غبار السفر، واضعة قائمة أفكارها على الطاولة الخشبية ذات الملمس الناعم. وسقطت بجثمانها على الفراش ذي المرتبة الوفيرة، ولم تشعر بعدها بأي شيءٍ حولها.

أفاقت بعد ذلك على صوت رنين الهاتف، قد كانت فتاة الاستقبال

تحاول إيقاظها حسب الموعد المحدد لها. احتست قهوتها، وارتدت بذلتها السوداء ذات الأزرار الفضية، وتوجهت نحو الأسفل حاملة معها مجلدات أعمالها السابقة ومخطط عملها المطلوب، إلى حيث تنتظرها سيارة ليموزين سوداء، تابعه للمجلة. كانت شديدة التحمس للأمر، فخطوة بهذا الشكل لها من الأهمية ما ينطلق بها إلى سماء العمل العالمي.

كثيراً ما راودتها فكرة إذا كان من الممكن العيش مجدداً، حياة أخرى تصوب فيها أخطاء حياتك السابقة. ترى هل كانت ستشعر بالسعادة وهي تحاول تغيير اختياراتها عبر صنع طريق جديد بدون أخطاء. إن تم ذلك فسيُكتب لحياتها الكمال، والكمال دائماً يعيبه النقص، فلا يوجد كمالٌ تام كاكتمال القمر. ربما لو حاولت تصحيح ما أخطأت به سابقاً سيظهر لها أخطاءً أخرى باختياراتها المضادة. ربما ترغب كثيراً بتغيير بعضاً من أجزاء حياتها، ولكنها تنتهي بأن ترضى بما ألت إليه الأمور.

_مادموزيل.. لقد وصلنا..

هكذا أخبرها سائق الليموزين، منهياً فترة تأملها غير المناسبة..

_أوه.. شكراً لك..

نزلت من الليموزين، تنظر أمامها باندهاش إلى المبنى الذي

صُمم جيداً ليعكس فكر المجلة الأنثوي، بألوانه و بصورة التي ترتفع على كل عمودٍ ومساحةً فيه. تقدمت بضع خطواتٍ حتى الباب، حيث الاستعلامات، ولم تمر دقائق حتى جاءت سلفانا لاستقبالها.

_هل أنا بهذه الأهمية؟..

هكذا همست لنفسها، وهي تمشي خلف سلفانا، التي قادتها إلى مكتب مديرة المجلة. مدت يدها مصافحةً لها..

_مرحباً.. أنا نادية..

_أهلاً نادية.. أعتقد مسبقاً انكِ تعرفين من أنا..

_بالطبع.. مدير انجح مجلات الموضة بباريس..

_لا أقصد عملي.. أقصد أسمي..

صمتت برهة، فلم تسعفها ذاكرتها بتذكر أسمها..

_صوفيا براندستون.. المديرة الإقليمية لمجلة Femme belle ..

_أوه.. مرحباً..

أعترى نادية الخوف للحظات، حتى لاحظت صوفيا توترها..

_تعلمين لماذا طلبت مقابلتك، أليس كذلك؟

_نعم.. وهذه البومات أعمالي.. وهذا أيضاً مخططي للمشروع

المطلوب.

_أعطني المخطط فقط.. لا تعتقدين أنني سأحضرك هنا دون الإطلاع على أعمالك السابقة.

أرادت جدياً سؤالها عن رأيها بأعمالها، ولكن خوفها من أن يقلل هذا من مركزها أمامها جعلها تفضل الصمت..

_لقد لاحظت أنكِ تتحدثين الإنجليزية بطلاقة.

_أوه.. نعم.. فأنا أحمل درجة البكالوريوس في اللغة الإنجليزية.

_جميل.. وماذا أكسبتك تلك اللغة؟ هل تعرفين إذن كيف هي الحياة في أمريكا؟ الثقافة وغيرها.

_عكست دراستي بعض المعالم الخاصة بالحياة الأمريكية وثقافتها، وأنا أعتقد أنها متحضرة جداً.. فلا قيود خاصة بالمرأة.. وهذا ما يهم..

_ماذا تقصدين بقيود خاصة بالمرأة؟..

_أقصد أن لها الحق في العمل، واختيار نوع الدراسة التي تريدها، والزوج الذي تريده أن يشاركها حياتها.. وهكذا.

_أتفتقد المرأة حقوقها لديكم ؟ ..

_لا يحالف الحظ جميع النساء أو الفتيات في الحصول على حقوقهن من تعليم وعمل وغيره.

_مممممممم.. ماذا عنكِ؟.. هل كان لكِ هذا الحظ كما أرى؟

_في البداية لا.. ولكن مع مرور الأيام حاولت الخروج من تلك القوقعة والبحث عن تحقيق ذاتي من خلال العمل..

_وهل نجحت بتحقيق ذاتك؟

صمتت لبرهة ثم..

_نعم.. أعتقد ذلك.

_إذاً لستِ متأكدة.

_أشعر بالسعادة لما حققته حتى الآن.. وهذا يكفيني.

_جميل..

_نعم.. اعتقد ذلك..

_أوه.. معذرةً.. قصدت خطتك التي وضعتها لمشروعنا..ولكن ينقصها بعض الـــ.. السحر.

_السحر..

_نعم.. فعالم الأزياء يعتمد على السحر الذي يعطي ملمساً مبهجاً وغير تقليدي.. فالمرأة تبحث دائماً عن ما يجعلها جميلة.. ونحن نساعدها بإرشادها إلى ما يجعلها كذلك.

_إذاً..

_إذاً.. عليكِ بقضاء بعض الوقت هنا في عالم الأزياء.. حتى

تجدي سحرك.

_ماذا؟.. ولكن..

_لا يوجد لكن.. هذه فرصتك.. إما نعم.. وإما لا..

_هل لي بفرصة للتفكير؟

_الفرصة بين يديكِ الآن... فبالخروج من هذا الباب ستنتقل إلى يد شخصٍ أخر.

الوقت الذي يُعطى لاتخاذ القرارات، ليس له علاقة بالقرار نفسه، ولن يؤثر عليه ملياً، لأن الإنسان يتخذ القرار الذي يرغب به في النهاية. فمن السهل اتخاذ القرارات، ولكن من الصعب اتخاذ القرار الصائب، أو العودة في قرارٍ خاطئ.

****

(٦)

عادت نادية إلى الفندق، لتحزم أمتعتها، واتصلت يومها بشهيرة لتخبرها بما حدث، والتي داهمها الحزن كثيراً..

_هل معنى ذلك أنني لم اعد مساعدتك؟

_من قال هذا؟

_ألن تغلقي مكتبك هنا؟

_نعم..

_إذاً لم يعد لدي عمل..

_ قبول عرضها بالمكوث هنا في فرنسا لبعض الوقت لا يعني أنني سأتركك، ستأتين للعمل معي هنا.

فرحت شهيرة لحظتها كثيراً، أخذت تصرخ فرحاً، حتى داهمها الحزن مره أخرى، خوفاً من رفض والديها لسفرها للعمل خارج مصر. أخبرتها نادية أن لديها الحق في الرفض أو القبول، وحثتها على محاولة إقناعهما، فلم يكن بمقدورها التخلي عن شهيرة، فهي التي تنفذ لها الأعمال كلها وتنظم لها مواعيدها، كما أنها اعتادت على التعامل معها ولا ترغب باستخدام مساعدة فرنسية لا تعرف عن عملها شيئاً.

كانت الحياة والعمل بالنسبة لنادية في فرنسا حلماً تحقق يوم

وصلت هناك، كان يجب عليها الاجتهاد أكثر في عملها الجديد، فالمنافسة شديدة على ما يبدو، والجميع يعمل بلا كسل ولا ملل، يسعون للنجاح بطرق عده. وكان على نادية في الفترة الأولى أن تتعمق في مجال الأزياء أكثر، لتعثر على سحرها كما طلبت منها صوفي. أُعد لها مكتب خاصٌ بها، وطُلب منها حضور جلسات تصوير المجلة وبعض عروض الأزياء لمصممين عالميين هناك. أرادت صوفي تعيين مساعدة خاصة بها ولكنها رفضت، بعد أن أخبرتها نادية بوجود مساعده لها.

اتصلت يومها بشهيرة لتعرف ردها بخصوص المجيء لفرنسا، ولكنها قابلتها برفض والديها. لم تُدخل نادية العلاقات الشخصية يوماً بعملها، ولكن وقتها لم تجد حلاً إلا بالتحدث إليهما بنفسها. وبعد ساعات من الحديث، وثقةً بها بعد سنوات العمل التي قضتها شهيرة معها، وافق والدها بتردد على سفرها، والمكوث مع نادية في فرنسا، على أن تكون المسئولة عنها أمامهما. وافقت نادية وقتها لشدة حاجتها لشهيرة في العمل، أو ربما لتكون ذلك الجزء الذي يذكرها دائماً بنفسها كالضمير، خوفاً من ان تطغى أساليب الحياة هنا عليها.

الحياة في الواقع المقنع لك، تبدو غريبة في البداية، ربما لأننا

أعتدنا الحياة في واقع فرض علينا، نحاول التعايش معه ولا يحاول هو من جهته التعايش معنا. هل لأنه رافض لنفسه؟ أم لأننا لم نعطه الفرصة لتوضيح وجهته؟

لم تدرك نادية وقتها أي شيء، إلا أنها الآن تعيش واقعاً طال انتظاره، واقعاً يعطيها المساحة التي رغبت بها، دون أن يفرض شروطه كالعادة. واقعاً تتخيله بنفسها، وتضع له لافتات الطرق، لتنتهي في المكان الذي ترغب به.

عندما تمشي في الطريق الذي تختاره، لن تلحظ وجود العثرات به، على عكس الطريق الذي يوضع أمامك، ويُفرض عليك المشي به، فإن مررت على حصاة صغيرة ستشعر برعشة السيارة، وكأنك مررت على لُغمٍ قاتل.

كان يومها الثاني في المجلة مزدحماً بالمواعيد والأفكار والاجتماعات، كانت في حالة يرثى لها من عدم الانتظام، وكم تمنت لو أن شهيرة معها، ولكن أوراقها لم تكن انتهت بعد.

****

(٧)

الموت يجعلنا أقرب إلى الله، يجعلنا ندرك أن هذه الحياة كالحلم الذي سيأتي اليوم الذي نستيقظ فيه على حقيقتنا. كثيراً ما كانت نادية تتخيل حياتها بعد الموت، لم تكن على يقين من الجانب الذي ستنتهي إليه، ولكنها تكتفي بالدعاء دائماً أن يكون الجانب الصالح.

توفيت والدة نادية بعد زواجها من وائل بسنة، أصابها في تلك الفترة الشعور بالضياع، وكأنها أصبحت تعيش وسط غرباء، لن تجد بينهم من ترتمي في أحضانه وتبكي كعادتها. لأول مره، تعرف ما هو الشعور باليتم.

كانت علاقة نادية بوالدتها جميلة، كانت تستمد قوتها منها، فقد كان يكفيها أن تجلس بجانبها لتستند إلى كتفها وتتحدث معها. بالرغم من مخالفتها لها الرأي أحياناً، إلا أنها كانت تعاود الذهاب إليها باكية كلما ألمّ بها خطبٌ ما. لم تترك لها والدتها غير وشاحٍ قديم ملوناً بالخضار لطالما اعتزت به، أخذت ترتديه على جميع ملابسها، حتى أن البعض لقبها بذات الوشاح الأخضر، مما رأوه من كثرة ارتدائها له حتى لو لم يكن لونه يناسب ألوان ملابسها.

تلوح لها من بعيد ملامح تلك الليلة، عندما غفت بعد أن جفت منابع دموعها حزناً على والدتها، لتستيقظ على كتف وائل الذي أخذ يربت عليها بحنان. في تلك اللحظة داهمها الشعور بأنها تستند إلى كتف أمها، ذلك الحنان الذي أخذ يلتف حولها كان أقرب إلى الشعور بالدفء في ليلة باردة مثلجة. ظلت متمسكة بتلك الأحضان حتى مرت تلك المرحلة بسوادها القاتم، ورائحة قوتها التي تعبق في المكان.

لم تحاول التقرب لوالدها كثيراً، ولم يحاول هو بالمثل الاقتراب. بالرغم من أنها كانت تشعر بحاجته لمن يحتضنه، إلا أنه كان يدعي دائماً القوة. ندعي القوة حتى لا نرى مشاعرنا عارية أمام من يحاول التعطف علينا بمشاركتنا مشاعر الحزن.

لم تكن نادية تصدق بأن والدها يحمل بداخله مشاعراً لوالدتها سوى مشاعر العشرة لزوجة قضت حياتها قي خدمته، حتى رأته يبكي لأول مره في غرفته وهو يحمل صورتها ويناديها..

_لماذا تركتني يا فاطمة؟ لماذا تركتني لأبقى وحيداً؟ الأولاد كبرت يا فاطمة ولم يعد لي أحد غيرك يا حبيبتي..

حبيبتي.. تلك الكلمة التي جعلت نادية تنظر لوالدها بنظرة غير التي اعتادت عليها، فقد كان رجلاً قوياً، شديداً وعنيداً. لم يكن

يسمح لأحد بالتحدث في حضرته، ولا يؤمن بتعليم الفتاة أكثر من الثانوية العامة.

تذكرت يوم جاء خالها يتحدث مع والدها محاولاً أقناعه بإرسالها للدراسة الجامعية بالقاهرة. كان والدها رافضاً بشدة، وبعد ساعتين ونصف من الإقناع وافق. فقد أحب والدها خالها كابنه، فهو الذي رباه بعد موت والده.

تتذكر يومها عندما قال له والدها

_أنت تدلل نادية كثيراً يا حسن.. أخاف من نتائج هذا الدلال.

كان يعتقد بأن أكمال الفتاة تعليمها دلال قد يفسدها.

بالرغم من المنظر الذي رأته نادية يومها، إلا أنها لم تفهم شيئاً، فقد أصابها المنظر بالكثير من الحيرة والتخبط، والكثير.. الكثير من التساؤلات.

هل كان والدها يحب والدتها؟ وأن كان كذلك فلماذا عاملها كتابع وليس كشريك حياة؟

****

(٨)

مرت فترة تعاملت فيها نادية مع عملها بكل جدية، لم تسمح لشيء بأن يشتت تفكيرها، ومع حضور شهيرة أصبحت حياتها أكثر تنظيماً وترتيباً. حتى جاء اليوم الذي طلبت فيه صوفيا من نادية أن تتولى أحد أغلفة أعداد الربيع. وكان على نادية أن تثبت أنها بذلك القدر من الإبداع والمسئولية، فلم يكن أي شيء يرضي غرور السيدة صوفيا.

أمضت نادية وقتاً كبيراً في التفكير، فنجاح هذا الغلاف سيحدد بقائها في المجلة من عدمه. يجب أن يُباع أكبر عدد من المجلة، فنسبة المبيعات تحدد نجاح مصمم الغلاف بالنسبة لهم.

جاء اليوم المحدد لأخذ لقطات العدد الربيعي الأول، توجهت نادية بصحبه شهيرة إلى موقع التصوير التي اختارته. بدأت العارضات بارتداء الملابس المختارة لأشهر المصممين، والتي أخذت نادية في التقاط الصور لها.

أمضت نادية يومين وهي تعمل على الصور، كي تخرج بالرؤية والجودة التي تريدها. اتصلت شهيرة كعادتها لتذكرها بموعد الاجتماع في الثامنة صباحاً، ولكن نادية تأخرت بالنوم ليلتها.

استيقظت في اليوم التالي على صوت الهاتف يرن، لقد كانت

شهيرة تتأكد أنها استيقظت. نظرت للساعة، لقد كانت السابعة. ارتدت ملابسها بسرعة، واتجهت إلى المقهى بجانب منزلها. فبدون قهوتها لن تكون في الحالة التي تسمح لها بمناقشة أي شيء.

بعد دقائق من الانتظار، حصلت على كوب قهوتها، في الوقت الذي اتصلت بها شهيرة تستعجلها الحضور، فلم يعد غير دقائق على الاجتماع. أمسكت كوبها وأسرعت إلى الخارج لترتطم به، ساكبة كوب القهوة الساخنة على ملابسه.

مهند، شاب جزائري في منتصف الثلاثينات، متوسط الطول، ذو عينان عسليتان. كان يعمل بأمريكا طبيباً، وقد أتى إلى فرنسا في رحلة مع أصدقائه.

_آسفة... لم أقصد...

_لا بأس.. لا تفزعي هكذا..

_أعتذر منك.. فقد كنت في عجلةٍ من أمري.. ماذا أستطيع فعله لك لأعوض عليك ما فعلت؟

_لا بأس في موعد..

_أعتذر منك.. لست من فتيات المواعيد العاطفية..

_إذاً يكفيني أن أشرب معك ذات كوب القهوة الذي شربته

ملابسي، وإلا لن أسامحك..

_حسناً.. غداً.. السابعة صباحاً..

_ماذا؟؟.. ألا يمكن ان تكون السابعة ليلاً؟

_لست في وقتٍ يسمح بالحديث.. وداعاً..

_سأعتبرها موافقة.. سأنتظرك في السابعة ليلا..

أوقفت التاكسي، واتجهت إلى المجلة وهي تسرع الخطى. تقدمت نحو غرفة الاجتماع، وبمجرد وصولها قابلها على باب الغرفة موظفاً طردته صوفيا من الاجتماع.

بدأ التوتر يتسلل إلى داخلها، ولكن ثقتها بعملها الجيد دعتها لأن تكمل طريقها بكل ثقة حتى وأن ضاعت منها هذه الفرصة. فقد لا يعني ضياع فرصةً ما ضرورة فشلنا فيما سيأتي من حياتنا. فالفرص تأتي وتذهب، ولكن الفرصة الجيدة قد لا تعود مجدداً إن أستمر صاحبها في خذلانها.

****

(٩)

لماذا يقولون إننا جيلٌ لا يعرف ما يريد، في الوقت الذي يجهلون فيه ماهيتنا، أو كيف تعمل عقولنا على استيعاب أخطائهم. لم يكن لشقيق نادية منظوراً أخر ينظر به إليها سوى كونها من المتخبطين، الذين تجدهم كل يومٍ في واد. فهي يوماً تريد أن تكون دكتورة جامعية، ويوماً آخر تريد أن تصبح مصورة. لطالما رأت في عينيه تلك النظرة التي لا تؤمن بالمرأة ككيان مستقل عن عائلتها ومجتمعها، ففي الغالب هي ذلك الجزء المنصهر داخل القالب الكبير ألا وهو المجتمع.

لم تجد نادية من أخيها دعماً لا في حياة والديها ولا بعد وفاتهما، فلم تكن له غير فتاة ضلت طريقها وهي تدعي قدرتها على إمساك زمام الأمور. لم تحاول الاتصال به منذ توفي والدها، أيماناً منها بأنه لم يعد هناك شيء يربطها بذلك المنزل، على الرغم من علاقتها الجيدة بزوجته عزة وأبنائه.

_نادية.. دورك.. أعرضي لنا فكرتك..

_هاه.. نعم.. الآن..

همست نادية لنفسها: يالها من أفكارٍ سخيفة لا تنفك تعاود في اشد الأوقات التي لا أحتاج إليها..

كانت فكرتها المقدمة ذات طابع جديد ومختلف..

_لقد فكرت في دمج الماضي بالحاضر..

_كيف ذلك ؟..

_انظروا هنا.. سترون هنا على الغلاف اثنتين من العارضات إحداهما ترتدي ملابس الثمانينات بينما ترتدي الأخرى ملابس عصرية على أحدث موضة.. الآن أنظروا إلى الصورة الثالثة المدمجة وتعرفوا على غلاف العدد..

_كيف هذا؟

_ببساطة سيكون غلاف المجلة عبارة عن صورة مدمجة.. فعندما يراها العميل سيرى فتاة ترتدي ملابس عصرية وما أن يقلبها رأساً على عقب حتى يراها فتاة ترتدي ملابس الثمانينات..

_مممممم.. كأنها ثلاثية الأبعاد..

_إنها مأخوذة من هذه وتلك.. إنها العبقرية الحديثة للغلاف التكنولوجي..

بدأ الجميع فجأة بالتهامس وكأنهم يتشاورون، وبعد دقائق..

_رائع.. أعتمد الغلاف.

انتهى الاجتماع يومها وهي في غاية السعادة، ولكن سعادتها لم

تطل، فقد اقتربت منها صوفيا هامسة..

_أتمنى أن يحقق العدد المبيعات المطلوبة..

برغم الفكرة المتطورة لتطوير غلاف المجلة، إلا ان المقياس الحقيقي بالنسبة لهم كان المبيعات. كانت شهيرة سعيدة بما سمعت عندما أخبرتها، لدرجة أنها أحضرت المشروبات الغازية ليحتفلا. ولكن نادية لم تكن بالمزاج الذي يسمح لها بذلك.عادت لمكتبها تفكر بما سيحدث، ولكنها انتهت بأن تنتظر أن يضرب الحظ السعيد ضربته.

كثيراً ما نتهم الحظ بأنه السبب كلما فشلنا، فلو أننا فكرنا لحظة لوجدنا ان الحظ يُشترى ولا يأتينا بلا مقابل. فلا يمكن أن ينفخ الحظ ذراته السحرية على ورقة بيضاء لم تُخط بمجهودٍ مسبق. فنحن من نصنع حظوظنا بأيدينا.

****

(١٠)

بدأت طباعة الغلاف، في الوقت الذي كانت فيه نادية تستعد لموعدها الأول بعد وفاة وائل. لم يكن بالنسبة لها موعداً عاطفياً، فقد اتخذته بشكلٍ رسمي كعقوبة لارتكابها خطئاً، فما كانت لتخون وائل بحبٍ أخر.

لم يبق غير نصف ساعة على اقتراب نادية من مكان موعدها، أوقفت التاكسي أمام المقهى، ونزلت منه لتراه هناك ينتظرها بمعطفه البني الطويل، وقبعته السوداء، وذالك الشال يلف رقبته. لقد كان ينتظرها قبل وقت موعدهما بفترة، لعله كان متشوقاً لرؤيتها فعلاً.

نظر إليها وهي تأتي من بعيد، تحمل بيدها حقيبتها الزرقاء، وحذائها الطويل الأسود، وتنورتها القصيرة ذات الأزهار الزرقاء الصغيرة، التي يعلوها بلوفر أسود جميل يزينه وشاحها الأخضر.

_لقد جئت قبل الموعد..

_كنت أنتظرك.. خفت ألا تأتي..

_حقاً.. ولماذا لا آتي ؟.. أخبرتك أنني سأعوضك عن خطئي غير المقصود..

_أتعلمين.. أحب الفتيات اللاتي يرتدين البوتس..

صمتت قليلاً، والتصقت عيناها بالأرض، لم تعرف وقتها أخجلاً أم أن هناك شعوراً متجمداً بداخلها بدأ في حركة الذوبان..
وبسرعة هاتفت نادية نفسها وكأنها تلقي لها الأوامر بعدم الاقتراب من تلك المنطقة المحظورة. وعادت تنظر له، وبلا مبالاة..
_إلى أين سنذهب الآن؟..
تفاجأ قليلاً من ردة فعلها، ولكنه تفهم رغبتها في الهروب..
_إلى أي مكان تختارينه..
_لا أعرف الكثير هنا.. هل تعرف أنت مقهى جيد؟
_أعرف مطعماً جيداً هنا، أخبرني عنه أحد أصدقائي الذين يعيشون هنا.. أخبريني هل تحبين الطعام المكسيكي؟أم نذهب لأحد المطاعم العربية القريبة من هنا؟
_لا بأس بالتعرف على جديد..
_حسناً.. إلى هناك إذاً..
اتجها فوراً إلى المطعم المكسيكي، الذي ما أن دخلاه حتى أستقبلهما العاملين هناك، واضعين على رأسيهما القبعات

المكسيكية الجميلة. اختارت نادية الجلوس بجانب النافذة، كما تحب الجلوس دائماً، حتى في طائرة السفر.

يهاب الكثيرون الجلوس بجانب نافذة الطائرة، ربما خوفاً من المنظر، فلا يتخيل البعض منظر الأرض البعيد الذي يلقي في قلوبهم الرعب وكأنهم سيسقطون إليها. على العكس من الذين يختارون هذا المقعد المميز، ففي الغالب هم أشخاص طموحين، مغامرين، يحبون التعرف وتجربة كل ما هو جديد.

_هل أعجبك المكان ؟..

_يبدو جيداً.. إذاً أنت هنا في رحلة؟

_أوه.. نعم.. مع بعضٍ من أصدقائي.. فأنا أعمل طبيباً في مستشفى بلاس فيغاس.

_لاس فيغاس!!..

_نعم.. لماذا تفاجأت؟.. هل ذهبت إليها قبل ذلك؟..

_كلا.. ولكني سمعت عنها كثيراً.. فالمدينة مليئة بالكازينوهات وألعاب الحظ..

_ألم تجربي حظك يوماً ؟

_كلا.. فلا أؤمن بالحظ كثيراً..

_إذا كنت لا تؤمنين به كثيراً، فأنا واثق بأنك تؤمنين بالصدفة.

_الصدفة؟!

_نعم.. فلقائي بك اعتبره حظاً.. وأنت تعتبرينه صدفة..

_يبدو أنك تحب تحليل كل شيء بمنطقك..

_ماذا تعتبرين لقائي بك إذاً؟

_تعويض عن خطأ غير مقصود.. كم عليّ قول ذلك؟

متى فقدته؟

_من هذا؟

_من تحبينه؟

_لا دخل لك بهذا الموضوع.. سأعتبر موافقتي على مرافقتك اليوم خطئاً بشعاً لن يتكرر.. عن أذنك..

_أرجوك.. انتظري.. لم أقصد إزعاجك.. أرجوكِ أجلسي لن أعاود التحدث مرة أخرى بهذا الموضوع.. أسف..

هناك أبوابٌ مغلقة عند بعضهم ، نفشل في فتحها أو حتى مواربتها. ربما لأن البعض لا يملك من مفاتيح الحياة ما يفتح الأبواب كلها. بينما يقوم البعض الآخر بصنع مفاتيح خاصة، أو يستخدمون أسلحتهم البدائية للدخول خلسة والاختباء.

عادت للجلوس، ولكنها في ذات الوقت كانت شاردة، متضايقة، بل وتمنت أن تنتهي الليلة سريعاً، ربما لأن الهروب أصبح

أدماناً لا يمكنها علاجه. تبادلا بعض الأحاديث، عن حياتهما ومواضيع أخرى بدت مشتركة فيما بينهم. انتهى الموعد، ورافق مهند نادية إلى حيث تقيم، وقبل أن تغلق الباب، أردف وهو يهم بالمغادرة..

_سأنتظرك غداً في الرابعة عند نفس المقهى..

_ماذا؟

_سمعتني.. أراكِ غداً يا نادية..

ياله من مجنون..

هكذا همست لنفسها ساخرة..

****

(١١)

مر أسبوع ونادية ومهند يلتقيان بشكل يومي، دائماً ما كان يجد طريقة ليقابلها بها، بينما هي تستسلم لمنطقه. حتى جاء الوقت الذي أخبرها فيه بانتهاء إجازته وضرورة عودته لأمريكا، ووعدها بالبقاء على اتصال بها.

لم تعط نادية وقتها الموضوع أهمية كبرى، فقد كان بالنسبة لها مجرد صديق قضت معه بعض الوقت. كل ما كان يشغل بالها حين ذاك كان عدد المجلة الذي سيظهر أول الأسبوع من الشهر الجديد.

جاء اليوم الذي غطى فيه الغلاف الجديد مساحات إعلانات فرنسا، ووزع في كل مكان بالعالم، ونادية تجلس بمكتبها. تجوب المكتب ذهاباً وإياباً كمن ينتظر مولوده الجديد. لم تستطع الجلوس أكثر مكتوفة الأيدي، بينما العدد يوزع بالأكشاك والمكتبات، فارتدت معطفها وبدأت تجوب الشوارع لترى بنفسها حركة المبيعات ورأي الناس بالغلاف الجديد.

لم يكن رد الأفعال كما توقعته ، بل أكثر بكثير مما تمنت رؤيته يوماً، فقد حقق العدد نجاحاً ساحقاً في أكشاك البيع، كما تداولته بعض الصحف في أخبارها عن نجاح المجلة. كان نجاح غلاف

العدد بمثابة خط النجاة بالنسبة لنادية، فقد ضمنت وقتها أنها ستبقى وسيكون لها شأناً عظيماً.

مرت الأيام ولم يتصل مهند، في تلك الفترة كانت نادية مشغولة بنجاحها، لذا لم تلق بالاً للموضوع. حتى فوجئت به يتصل بها ليهنئها على نجاح الغلاف..

_أين أنت؟ وما هذه التهنئة المتأخرة ؟

_أعتذر عن غيابي.. فقد واجهت بعض المشاكل لدى عودتي..

_مشاكل؟!

_مشاكل العمل تعرفين.. هل اشتقت لي؟

_ماذا؟ أنا كنت فقط أسأل.. أرجوك أوقف هذه التخيلات، فأنت لي صديق لا أكثر..

_مممم.. سنرى ذلك.. المهم كيف عملك الآن؟ هل من جديد؟

_كلا.. ولكن صوفيا ترغب بالاجتماع بي حال عودتها من أمريكا.. ربما ستعطيني مكافأة أو ترقية.. لا أعلم..

_جميل.. أخبريني الآن.. كيف حالك ؟

استمرا يتجاذبان أطراف الحديث حتى الصباح، لم يشعر أيهما بالوقت، ولكن بمجرد إغلاق الخط معه شعرت نادية بأن هناك شعوراً غريباً يسيطر عليها.. لم تعرف ما هو..

غاب مهند منذ ذلك اليوم ولم يعاود الاتصال، مما جعلها أكثر توتراً وتساؤلاً عن سبب غيابه. حتى جاءتها فكرة الاتصال به..

_ماذا؟ أجننت لتتصلين به؟ ما هذا الذي أفعله؟ لا يمكن.. هل اهتم به وأفتقده؟ يا الهي.. ماذا فعلت يا نادية؟ يجب أن أنسى هذا الموضوع وأعود لحياتي السابقة.

هكذا همست نادية لنفسها والخوف يعتريها من أن تكون قد وقعت في الحب.

حاولت نادية جاهدةً أن تشغل وقتها بالعمل، والخروج مع شهيرة حتى لا تترك لنفسها وقتاً فارغاً تذكر فيه مهند، أو بالأصح لكي تشعر بفقدانه. ولكنها عجزت عن ذلك، حتى أنها كانت تقضي وقتها تبكي بالحمام ، لا تعرف طريقة لتقتل ذلك الحب الذي بدأ يترعرع داخل قلبها.

_أستاذة نادية.. هاتفك يرن..

_من؟

_السيد مهند..

_ماذا؟

هرعت كالمجنونة للباب، وأخذت الهاتف من يد شهيرة وركضت لغرفتها..

_ألو..

_اشتقت إليك..

_كاذب.. لو انك اشتقت إلي لاتصلت بي، وما تركتني مشغولةً عليك..

_مشغولة؟! لو أنك تفكرين بي، لماذا لم تتصلي أنت، ما دمت تفتقدينني؟

_ومن قال إنني أفتقدك؟

_حسناً..ما دمت لا تفتقدينني سأغلق السماعة.. مع السلامة..

_أنتظر..

_ماذا هناك؟

_أفتقدك ولكن.. قليلاً..

_مممم.. لا بأس بالقليل من المكابرة..

نكره الاعتراف بالحب، على عكس قربنا الشديد من الإفصاح بالكره. ربما لخوفنا من ان نُجرح أو نفقد الحب الذي نرى فيه فضائلنا. فهناك من يفضل إبقاء حبه سراً، عن الإفصاح به إلى من يحب. قد نسميها عدم ثقة بالنفس، أو خوف من شيء مجهول لا نعرف نتائجه.

****

(١٢)

هل يمكن ان يكون لباريس من سحرها ما يجعلها قادرة على إيقاع الجميع بالحب. ربما هكذا اعتقدت نادية، فبالرغم من محاربتها لدخول ذلك الحب في حياتها، إلا أنه فرض نفسه عليها دون علمها. ربما لأنها كانت وحيدة وتحتاج لمن يملأ حياتها، ويحميها مما هو قادم.

عادت صوفيا لمكتبها، وقامت باستدعاء نادية على الفور. أخبرتها شهيرة ان صوفيا تنتظرها، فارتدت معطفها وتوجهت إليها. الباب مفتوح كالعادة، لا تغلق صوفيا بابها أبداً فهي تحب مراقبة كل شيء من كرسيها..

_أوه.. نادية.. كيف أنت؟

_بخير.. لقد أخبرتني شهيرة بأنك ترغبين برؤيتي.

_نعم.. تعلمين لقد طلبت لقائك بعد عودتي من أمريكا لسببٍ ما.

_يا ترى ما هو؟

_لقد أخذت غلاف عدد الربيع وعرضته على أعضاء فرعنا بأمريكا، والذين أظهروا إعجاباً شديداً بعملك.

_يبدو هذا جيداً.

_بل أكثر من جيد.. لقد طلبوا نقلك للعمل هناك..وأنا وافقت.

_ولكن.. ولكني لم أوافق على هذا النقل.

_أوه ناديــة.. تعلمـين نحـن هنــا نبحـث عـن مصـلحة المجلــة ومصلحة المجلة تقتضي ذهابك للعمل هنـاك.. كمـا أنـك ستكونين مديرة قسم الفوتوغرافية هناك.

_أحتاج فترة للتفكير.

_لا يوجد وقت.. لقد حجزت لك ولمساعدتك تذكرتين الأسبوع القادم.. جهزي نفسك.

خرجت من مكتب صوفيا وهي تشتعل غضباً منها، فقد تجاهلت رأيها في موضوع يخص عملها ومستقبلها. استقبلتها شهيرة على الفور بالأسئلة عما أرادته صوفيا منها. أخبرتها نادية بما حدث، وعبرت لها عن غضبها الشديد من ذلك. ولكن شهيرة لم تر في الأمر سوء. فهو بمثابة ترقية، كما ان العيش بأمريكا ليس بهذا السوء.

لم تقتنع نادية بكلام شهيرة، وعادت ذلك اليوم للمنزل، وهي تكاد تميز غضباً، لا ترغب حتى بتناول الطعام. ما أن دخلت منزلها، حتى اتجهت إلى الحمام للهروب تحت قطرات المياه الدافئة لعلها تفيق مما هي فيه.

رن جرس الهاتف وهي بالحمام، لم تكن لتسمع ذلك الرنين،

فصوت المياه كان يغطي سمعها وكيانها، وكأنها تغرق تحتها.
خرجت نادية بعدها وقد هدأت قليلاً، نظرت للهاتف لتجد اتصالاً من مهند، أخذت الهاتف واتجهت إلى غرفتها وقامت بالاتصال به..

_كيف حالك مهند ؟

_ماذا بك؟ لا تبدين على ما يرام..

_مشاكل بالعمل.

_ماذا حدث؟

_يريدون نقلي إلى أمريكا.

_حقاً؟! هذا خبرٌ جيد.

_كيف ذلك؟ لقد اتخذوا القرار بدون الرجوع إليّ.

_فكري بالأمر يا نادية..فبمجيئك لأمريكا سنكون معاً.

_ممممم.. لم أفكر بالموضوع من هذا الجانب.. ولكن هنا عالم الموضة.. هنا سأنجح كمصورة.

_لا تقلقي فهنا يهتمون بالموضة أيضاً.. كما قد تكون فرصتك هنا أفضل مع نجوم هوليود.. إلى أين تم نقلك في أمريكا؟

_نيويورك.

_يا الهي لا اصدق.. فقد نقلت عملي إلى مستشفى آخر في

نيويورك.. إنه القدر يا نادية.. القدر الذي يريد ان يجمعنا معاً.

_ربما أنت على حق.. أنه القدر.

تحملنا الأقدار إلى حيث لا ندري، ولا ندري وقتها أتهوي بنا إلى الأرض أم ستعتلي بنا إلى السماء. ولكننا نكون متأكدين أنها ستغير حياتنا ثمانين درجة إن لم يكن المائة. فالحياة بأحداثها المتموجة كموج البحر، لا يمكن الوثوق بها، فقد ينقلب قاربك قبل أن تصل به إلى خط النهاية.

****

(١٣)

لا نصبح مجبرين على عمل شيء إن وافق ما نريد أو من نحب، ننظر للأشياء وقتها بنوع من التفاؤل الذي يجبر نظراتنا المتشائمة على الاختفاء بزيها السوداوي.

هكذا رضخت نادية لقرار نقلها، ليس عن قله حيلةٍ منها، ولكن عن رغبةً في البقاء بجانب من تحب، حتى وإن لم تعترف بذلك. حزمت أمتعتها ولم يمر الأسبوع حتى وصلت لنيويورك، بصحبة مساعدتها شهيرة. وما أن وطأت قدمها أرض المدينة التي تصنع من حلمك واقعاً، تنفست الصعداء. لم يكن هوائها كباريس معبئاً بروائحها، بل كان بالنسبة لها مجرد هواء.

خرجت من صالة المغادرة إلى حيث كان مهند في انتظارها بشوقٍ ولهفة. كانت وقتها تعاني من القليل من المكابرة، والتي بها لم تُظهر له الكثير من الاهتمام. ربما لأنه مثّل لها الغربة التي شعرت بها للوهلة الأولى ما أن وطأت أرض نيويورك. لم يعترض مهند ليقينه الشديد بحبها له، ولكن عدم معرفته سبب خوفها من خوض التجربة كان كافياً ليزيد من حيرته. استقلوا التاكسي إلى حيث حجزت لها الشركة، إلى فندق هيلتون أحد أعرق الفنادق في أمريكا. ودعهما على أمل لقائهما في المساء،

حيث دعاهما لقضاء بعض الوقت في التنزه في ضواحي نيويورك وتناول طعام العشاء. منحته نادية ابتسامة هادئة، وودعته على أمل لقائه في المساء.

اتجهت إلى مكتب الاستقبال تتبعها شهيرة، التي أخذت تملأ استمارات الفندق المطلوبة، بينما تقف نادية بجانبها تضع يدها على وجنتها في ملل. وما أن انتهت شهيرة من أوراقها حتى سبقتها نادية إلى المصعد، حيث استقلتاه لغرفتيهما. كان يبدو على شهيرة التعب والإرهاق بينما كانت نادية في قمة الحيوية بشكل يلفت الانتباه. تورد خديها أثبت مدى حبها وسعادتها لرؤية مهند...

ابتسمت شهيرة وهي تنظر لنادية..

_يبدو أنه يحبك؟

نظرت لها نادية ببلاهة، وكأنها لا تعرف عما تتحدث..

_من؟!!

ضحكت شهيرة من نظرة الخجل التي رأتها بعيني نادية..

_مهند.. أتحبينه؟؟

توقف المصعد عند الطابق الرابع، حيث غرفة نادية التي جذبت حقيبتها وبدون النظر لشهيرة...

_ربما..
لم تدر نادية وقتها هل كانت تشكك في حبها له أم كانت تنكره، ولكنها فضلت عدم الحديث بالموضوع.
في الهروب أحياناً دعوة للسعادة لا نعرفها، كمن يحب أول مرة. يخفي حبه رغبةً منه بالهرب بمحبوبه إلى كونٍ آخر بعيداً عن أعين الجميع. دخلت نادية غرفتها ذات الإطلالة الساحرة على مدينة نيويورك، حيث المباني المرتفعة حد السماء التي عكست فتيل الضوء المنسكب على مراياها. أغلقت الستائر وألقت بنفسها على السرير وغطت بنومٍ عميق، يشبه السقوط في بئرٍ مظلم يصعب الخروج منه.
يمر الوقت سريعاً عندما نحتاج منه ان يبطئ، فهاهو الباب يُدق دقاتٍ سريعة، إنها شهيرة مرتدية ثيابها وتدعوها للاستيقاظ، فقد أقترب موعد مهند الذي نسيته نادية. يبدو الاستيقاظ من النوم في وقتٍ كهذا كالعودة من الموت إلى حياة.. مؤلم.
تكاسلت نادية قليلاً حتى فتحت الباب، ثم عادت لغرفتها تاركةً الباب مفتوحاً بدون حتى أن تدعوها للدخول...
_نادية.. أما زلت نائمة؟ ماذا عن موعد مهند؟ إنه ينتظرنا بالأسفل منذ أكثر من ساعة.

_لقد طلبت من الفندق إيقاظي.. يبدو أنهم لا يجيدون علمهم.
_يقولون إن هاتفك مشغول على الدوام... مع من كنتِ تتحدثين؟
_هاتفي!؟
نظرت إلى الهاتف لتجد سماعته مرفوعة، فعرفت مع من طال حديثها.. مع النوم.
دفعتها شهيرة إلى الحمام لتأخذ حماماً، وأخذت هي تجهز لها ملابسها التي سترتديها. أكملت نادية حمامها وارتدت ثيابها، ونزلت إلى صالة الفندق حيث ينتظرها مهند بصحبة شهيرة. ابتسمت له ابتسامة صغيرة تدل على روحٍ ما زالت متعبة. حاول ضمها بين ذراعيه مرحباً، لكنها ابتعدت عنه، وبلهجة شديدة أمرته ألا يلمسها. شعر مهند بالإحراج، كما شعرت شهيرة التي فضلت أن تسبقهما إلى الخارج.
_أسف لم أقصد ذلك.. ولكني شعرت فجأة برغبة شديدة في ضمك.
_أسفة أيضاً.. لم يكن علي الصراخ بك بهذه الطريقة.. ولكن يا حبذا لو تتوقف عن هذه التصرفات. هيا أعتقد أن الوقت حان للذهاب.
الحب يخلق التصرفات ولا يبررها، تأتينا أحياناً هوجاء.. مبهمة،

وأحياناً لا قيمة لها عند البعض. ولكنها في النهاية تذهب تاركةً لنا طعماً لا يمكن نسيانه.

خرج كلاهما معاً، بينما تنظر لهما شهيرة وكأنها ترغب بفهم ما حدث، ولكنهما ظلا صامتين. بدأت شهيرة تبدي إعجابها بالمدينة، لعلها بذلك تكسر حاجز الصمت بينهما. ولكن نادية ظلت صامتة تحدق بالأماكن حولها، بينما مهند يشرح أسرار بعضها، وكيف أن حياة الأمريكيين هنا تختلف عن الفرنسيين في الكثير من الأمور. أخذ يتحدث ويتحدث وشهيرة تمعن في الاستماع، مبديةً إعجابها بما تسمع. بينما نادية تنظر لهما، يحركها شعورٌ داخلي أقرب إلى الضيق أو حرقة بسيطة في القلب، أو ربما هو ما يسمونه الغيرة.

في كثير من الأحيان تكسر الغيرة الحاجز الجليدي المحيط بقلوب الخائفين من الحب، وفي أحيانٍ أخرى تحرق المحبين. لم تغر نادية يوماً على وائل، ربما لأنه لم يكن هناك من كان ينافسها على حبه من قبل، كما تشعر الآن مع مهند. توقفت نادية فجأة عن المشي وطلبت منه ان يعيدهما للفندق لشعورها بالتعب. أبتسم مهند وقد فهم ما دار بخلدها، بينما لم تفهم شهيرة سر انزعاجها ولكنها أذعنت لرغبتها.

استقلت مع شهيرة التاكسي، بعد أن منعت مهند من مرافقتهما، واكتفت بإشارة وداع. أسندت رأسها إلى زجاج التاكسي تتأمل شوارع نيويورك، بينما تغوص بأفكارها في ملامح تلك المدينة التي تمر سريعاً أمام ناظريها. عادت شهيرة مع نادية للفندق، وفي صالة الفندق أوقفتها وقد بدت عليها ملامح الحيرة..

_ماذا حدث؟ لماذا طلبت منه إعادتنا إلى الفندق؟

_كنت أشعر بالتعب.. أليس من حقي هذا؟

_لا يبدو عليكِ الشعور بالتعب.. بل بالانزعاج.

علا صوت نادية في صالة الاستقبال بغضب..

_أنسيت نفسك يا شهيرة؟ أنا هنا مديرتك.. أتفهمين؟

قالتها وتركت شهيرة وصعدت لغرفتها بمفردها، بينما ظلت شهيرة واقفة في بهو الفندق، لا تصدق ما سمعته، فبعض الكلمات الصادمة نقف أمامها عاجزين، لا ندري بأي قلبٍ نُجيب. دخلت نادية غرفتها وأخذت حماماً طال وقته، لم يكن حماماً بالأصح بل كان لحظة لاختلائها بجسدها وروحها بعيداً عن الضوضاء. أنبت نفسها كثيراً على ما فعلته بشهيرة التي لم تستحق منها كل هذا العناء. فارتدت ملابسها وذهبت لغرفتها، طرقت الباب عدت طرقات لم يجبها أحد. عادت لغرفتها تحاول

الاتصال بها ولكنها لم تجب، اتصلت بالاستقبال تسألهم عنها خوفاً من أن تكون قد غادرت، ولكنهم أجابوها بأنها موجودة بمقهى الفندق.

توجهت إلى مقهى الفندق حيث كانت شهيرة تجلس هناك وحيدة ترتشف قهوتها وقد بدا على وجهها تعابير الحزن، والتعمق في التفكير...

اقتربت منها وبصوتٍ منخفض..

_أسفه يا شهيرة.. لم أقصد ما قلته.. تعلمين؟ كنت غاضبة..

ارتشفت شهيرة القليل من قهوتها..

_ لا.. لا أعلم لماذا كنتِ غاضبة.. لم يكن هناك ما يدعو للغضب.

جذبت الكرسي وجلست بجانبها، وأشارت للنادل أن يأتيها بفنجان قهوة..

_أنتِ لا تفهمين.

_ بالفعل أنا لا أفهم.. أشرحي لي.

_لا يمكنني الشرح.. فأنا نفسي لا أفهم ما يحدث لي.

_أتحبينه؟!!

_لا أدري كيف أصف شعوري نحوه.. أحب سماع صوته، رؤيته، الحديث معه، ويبدو أنني أغار أيضاً.

_إذاً هذا ما دفعك لفعل ما فعلت.

_لا أدري حقيقة الأمر.. هل بدا ذلك واضحاً؟

_واضحاً بشدة..

_إذاً تفهمينني؟

_ما أفهمه أنه عليكِ البوح بمشاعرك نحوه قبل أن تفقديه.

_لم يعد هناك مساحة أخرى للفقد.. يكفيني ما فقدته في حياتي.

جاءت القهوة، وبدأ الحديث عن الماضي يعود مع كل رشفةٍ منها. تأخر الوقت والحديث لا يرغب بالانتهاء، ولكن اجتماع الغد مع الإدارة الجديدة فرض على كلتيهما الذهاب للنوم. ساعات النوم أصبحت مجهدة لها، يتقلب جسدها على السرير وروحها معلقة في السماء.

يأتي الصباح بضوئه، وعيناها لم تبارح سقف غرفتها. ترتدي ملابسها، وتلتقي بشهيرة وقد بدا عليها التعب والإجهاد. فعذاب الحب يستنزف طاقاتنا، فلا نقوى على شحنها من جديد.

****

(١٤)

أيام الغربة تمر بسرعة، لا تدري لها ليلاً من نهار، هي مجرد ساعاتٍ تقضيها تمر بسرعة تردد الصوت في الأفق. هكذا مر الأسبوع الأول لها، حتى انتقلت ومساعدتها إلى شقتهما الجديدة بإحدى بنايات نيويورك المرتفعة. في ذلك الوقت كانت لقاءاتها بمهند تتجدد يوماً بعد يوم، حتى بدأت تترك روحها الضالة تتعلق به. الوقت أصبح معه ذو مذاقٍ خاص رغم مرارته الطفيفة، فالوقت الذي تقضية نادية بالعمل يسرق منها بعضاً من تلك اللحظات. ولكنه يعطيها بالمقابل الاستقرار، الذي ساعدها على إثبات تفوقها على كثير من منافسيها، محققة الرقم القياسي في المبيعات لعددين على التوالي. كان هذا الحدث بالنسبة لها من أهم الأحداث التي تدعو إلى الاحتفال، لذا دعاها مهند لتناول العشاء في مطعم بدا من ديكوراته أنه غالي جداً. ولكنها استحقت ذلك. فقد كانت في تلك الليلة أجمل امرأة رآها في حياته. تألقت بقرطين من الماس، وفستان أسود عانق جسدها في نعومة، ليقطع أي شك في أنها امرأة جميلة قلباً وقالباً.

_يبدو مطعماً أنيقاً.. وغال.

_وأنت تبدين أجمل امرأة في العالم.

_مممممم.. الحب يريك كل شيءٍ جميلاً.
_ولكـن لـيس بهـذا الجمـال الـذي أراه الليلـة.. ناديـة ارغـب بالاعتراف لك..
أصابها القلق قليلاً فابتسمت..
_ماذا هناك؟.. وبماذا تعترف؟
أشار للنـادل، طالباً صحناً من المقبلات، ثم أمسك يدها بحنـانٍ وهو يتعمق في عينيها..
_أسمعيني نادية.. منذ عرفتك تغيرت حياتي.. لا تسأليني كيف؟ ولكنها تغيرت.. أصبحتِ جزءًا منها، بل أصبحتِ كل حياتي.. لم أقابل امرأة من قبل امتلكتني كما فعلت أنت.. لا أدري ما السر فيكِ.. ولكن معك أشعر دائماً بالأمان.
حاولـت مقاطعتـه، ولكنـه وضـع أصبعه علـى فمهـا لإسـكاتها..
_دعينـي أكمل.. ناديـة أرغب بـان أقـول لـكِ شيئاً.. فـي الفتـرة الماضـية مـن حيـاتي لـم أكـن راضـياً عمـا أفعـل.. كنـت أشـعر بالضـياع.. كنـت اكـره نفسـي.. عرفـت نسـاءً كثيـرات.. لكنـي لـم أشعر مع أحداهن قط بما أشعره تجاهك.
أزاح كرسيه للخلف، وركع على أحد ساقيه، اخرج علبة تيفاني للمجوهرات التي تميزها كل النساء..

_نادية.. هل تكملين حياتي الناقصة؟ هل تكونين توأم روحي وعقلي وجسدي؟ هل تتزوجينني؟

نظرت له بدهشة، لأول مرة تشعر بأنها كالأميرات، وكأنها في إحدى القصص التي بكت وهي تشاهدها في التلفاز. ففارس الأحلام أتى ليدعوها لتركب حصانه الأبيض، وتكمل الدرب معه. حاولت أن تمنع دموعها من الانسياق وراء ذلك الشعور الجامح الذي راودها. ابتسمت فقط وهي تخبره بموافقتها. صفق جميع من بالمطعم لهما، مما أشعرها بقليل من الخجل. أخذت تتأمل الخاتم الماسي في إصبعها وهي لا تصدق أن الحياة أعطتها فرصة أخرى لتعيد تجربة الحب، وكأنها أهدتها مهند ليعوضها عما فقدته.

يقولون إن الفرصة تأتي مرة واحدة، ولكن في الحب قد تأتي مرتين، المرة الأولى وأنت تبحث عنه والمرة الثانية وهو يبحث عنك.

عادت نادية لشقتها مشرقة، تتراقص في الهواء وهي تنظر لذلك الخاتم الذي أحكم قبضته على أصبعها في حب.

استيقظت شهيرة على أثر صوت إغلاق باب غرفة نادية، فتوجهت إليها مسرعة لتعرف أخر المستجدات.

_نادية... هل عدت؟

_لا..

_ماذا؟؟

_عُدت ولم أعد.. فقد تركت روحي هناك برفقته.

_ يبدو أنكِ سعيدة اليوم.

_أغمضي عينيك.

_هل أحضرت لي مفاجأة؟ طعام؟ أنا جائعة كثيراً.

_ ياللرومانسية.. طعام؟ هيا أغلقي عينيك.

أغلقت شهيرة عينيها، بينما نادية تقرب يدها لتضعها أمام عينيها..

_أفتحي الآن.

صرخة مدوية ترددت بجذل في الغرفة..

_مباررررررررررك.. لا أصدق.. هل طلب منكِ الزواج؟

_وماذا يفعل هذا الخاتم بيدي برأيك ؟

_لا أصدق.. كم أشعر بالسعادة. ولكن..

خيمت الحيرة على وجه شهيرة قليلاً؟؟

_هل معنى ذلك أنك ستتركينني وحيدة؟

_لا تخافي.. سأقوم بتأجير الشقة المقابلة لكِ وبهذا سنبقى

سوياً.

_لا أدري ما أقول.. فأنت بالنسبة لي أكثر من صديقة.. أحمد الله على ذلك.. متى الزواج؟

_كان يريد الزواج الأسبوع القادم ولكني ألححت عليه بالصبر حتى أنتهي من أعدادات الزواج.

_إذاً سنبدأ من الغد في تجهيز كل شيء.. الفستان، وحجز الطعام والمكان، والدعوات.. سيكون عملاً رائعاً.

قليلاً ما نفرح، كثيراً ما نحزن ولكننا في النهاية نحمد الله على أننا ما زلنا نشعر، ونحمده أكثر عندما نشعر بالحب. فالحب هبة نُحسد عليها، ونعمة قد تزول إن لم تحافظ عليها ونعطها حقها.

****

(١٥)

الوقت يمر في تجهيزات الزفاف، وكأنها عروسٌ جديدة لم يسبق لها الشعور بهذا الإحساس. إحساس الخوف والخجل، إحساس الفرح والشعور بخلايا الجسد تتجدد من جديد. أيامٌ تمر وهي من محل إلى أخر، تختار أزهارها.. طعام عرسها.. تقيس فستان زفافها الأبيض بصحبة صديقة العروس شهيرة. يداهمها مهند في محل فساتين الأعراس ليسترق النظر إلى أميرته، التي احتجبت عنه خوفاً من أن يصابا بالنحس. لم تكن لديها أيه نية لفقدانه، لكانت احتجبت عن رؤيته لو كان ذلك سيسبب لهما السوء حتى يتم زفافهما.

وفي زفافٍ يكاد يكون أسطورياً، حضر أصدقاء وزملاء أتوا من فرنسا خصيصاً من أجلها. كانت يومها كالشمس تشرق بعد مغيب، ذيل فستانها الأبيض يلحق بها، بينما هي تتقدمه بباقة زهور من اللي لي، التي زادتها جمالاً ورقة. الجميع حولها يشاركها سعادتها، يرقصون لها ويغنون، يتقدمون مهنئين متمنين لها السعادة...

اقتربت منها صوفيا بمشية الطاووس كما سموها، تبارك لها زواجها...

_مبارك لكِ يا نادية.. تبدين جميلة وعصرية.
_شكراً لكِ يا صوفيا.. فالفستان هدية من أحد المصممين.
_أعرف ذلك.. فأنا من طلب منه تصميم الفستان. أنتِ تستحقين كل جميل يا عزيزتي.
_ أووه يا إلهي.. لم أكن أعلم بذلك.. أشكرك على هذه الهدية الجميلة.
_افتقدناك كثيراً بعد رحيلك.. فكل من يعملون لدي بعدك ما هم إلا كومةٌ من الأغبياء.
_أعطهم الفرصة.. وأنا على يقين بنجاحهم.
_لا مجال للفرص في عملنا عزيزتي.. فأما أن تفشل أو تنجح.
أمسك مهند بذراع نادية مقاطعاً لحديثهما..
_هيا بنا يا عزيزتي.. سنذهب الآن.
_عذراً مدام صوفيا.. سأضطر للذهاب الآن.
_لا بأس عزيزتي.. استمتعي.
استقلت نادية وزوجها السيارة الليموزين السوداء، المجهزة لاصطحابهما لمنزلهما. لأول مرة يدخل الحبيبان عشهما الزوجي معاً كزوجين، تعاهدا أن يقضيا عمرهما معاً.
كانت ليلتهما الأولى معاً يملؤها الخوف للوهلة الأولى، فقد ظلت

نادية صامتة لا تتحدث واكتفت بالنظر إليه.

_نادية.. أحبك.. هل تعملين كمّ سعادتي الليلة؟ لا أصدق.. أنت حلمٌ يتحقق يا حبيبتي..يا زوجتي.

كلمة زوجتي أصابتها بالقشعريرة اللذيذة، ابتسمت بشفتين راضيتين..

_أنا أيضاً.. أحبك..

أخذها في أحضانه ودار بها دوره كاملة، وهو يصرخ من الفرح..

_أحبك..

باليوم التالي سافرا إلى هاواي لقضاء شهر العسل كما يسمونه، لأول مرة تمسك يده أمام الناس وهي تركض بجانبه على الشاطئ، بدوا وقتها كنصفين اكتملا معاً. السعادة تشكل ملامح جديدة على وجه نادية، وكأنها تشق بداخلها أوردة جديدة. بينما يفيض وجه مهند، بكلماتٍ صارخة بالعشق والغزل.

استلقت على أحد كراسي الشاطئ ترتدي نظارتها الشمسية، بينما مهند يسبح في زرقة مياه البحر أمامها، لكنه ما لبث ان اختفى عن ناظريها. شعور غريب بالهلع انتابها وهي تبحث عنه بعينيها دون أن تلمح طيفه، ليتزايد ذعرها فتصرخ باسمه مرة

تلـو الأخـرى. لاحـظ رواد الشـاطئ ذعرهـا فتجمعـوا حولـهـا فـي فضول غير معهود يستفهمون عن سبب صراخها_ كلٌ حسب لغته_ بينما كانت هي تهذي لهم بكلماتٍ لم يفهمها أي منهم..

_ساعدوه.. اختفى.. غرق.

حـاول الجميـع تهـدئتها بينمـا هـي تبكـي وتشـير بأصـبعها نحـو البحـر، وكـأن شيئاً قد أصـابها وتركهـا عـاجزة عن الكـلام. حتـى سمعت صوت احدهم يحاول المرور من بين الحشد من النـاس..

_ابتعدوا لو سمحتم.. ماذا هناك؟

تـدرك هـي هذا الصـوت الـذي كـاد ان يقتلهـا قبـل قليـل، أنـه مهنـد وبيده كوبين من العصير. يقف أمامها مندهشاً يسألها عما حدث، بينما تنطلق هي غاضبة تصرخ في وجهه وتضربه على صدره..

_لقد اعتقدت أنك تركتني.. اعتقدت أنني فقدتك..

لا افهم شيء.. لقد تركت لأحضر عصير جوز الهنـد.. لأعود وقد لممت النـاس حولك.

_عندما اختفيت اعتقدت انك غرقت أيها الأحمق.. كـاد قلبـي يقف بسببك.

_ألهذه الدرجة تحبينني؟.

_وأكثر أيها الأحمق.

كانت تشعر في تلك الأيام بأن سعادتها في الحياة قد اكتملت، فلم تعد ترغب بشيءٍ أخر. لم يعد أي شيء يثير سعادتها كحياتها مع مهند، الذي أذاقها من الحب أنواعاً وأشكالاً. حتى أن ذلك انعكس على حياتها العملية التي أخذت تزدهر يوماً بعد يوم. لم تصدق أن الحياة قد تكون بهذا الكرم مره واحدة، تعطيها كل شيء بدون أن تسألها المقابل.

****

(١٦)

أجمل سنوات العمر تلك التي تقضيها في أحضان من تحب، لا تشعر وقتها بشيء إلا بدفء الحب والاحتواء. حتى أن الأيام قد تمر كما تمر المياه من بين أصابعك. هكذا نحن عندما نحب نرتدي نظاراتنا السوداء، ونبدأ في قيادة سيارتنا بأقصى سرعة في طريقٍ نجهل نهايته أحياناً.

جاءها مهند يوماً وهو يحمل صندوقاً كبيراً، أذهل منظره نادية..

_ما هذا يا مهند؟

_لا أصدق أنكِ نسيت؟

_نسيت؟! نسيت ماذا؟

_اليوم ذكرى مرور سنة على زواجنا.

_ أعرف ذلك ولن أنس تاريخ زواجنا. ولكن ما علاقة هذا بالصندوق؟

_لو كنت تعرفين حقاً لعلمت أن هذا الصندوق يحمل بداخله شيئاً لطالما أردتِه.

_شيء لطالما أردته!! ماهو يا ترى؟ فبوجودك في حياتي لم يعد لدي شيئاً أتمناه.

_أفتحي الصندوق وستعلمين..

فتحت الصندوق بسرعة كالأطفال تبحث عن لعبتها قبل أن تصرخ بفرحة..

_لا أصدق.. لقد أحضرتها لي.

_نعم.. دراجة وردية.. يمكنك الآن ركوب الدراجة التي تمنيتها منذ صغرك.

تساقطت دموعها كقطرات الندى على خديها، تبتسم وتبكي في ذات الوقت. ركضت نحوه تحتضنه وتقبله، وتعود للدارجة تمسكها كالطفلة الصغيرة في براءتها.

طلبت منه الذهاب معها في جولة لتعلم ركوب الدراجة، فحمل الدراجة على عاتقه إلى الأسفل. ومشى بها إلى الحديقة، حيث وضعها وأخذ يدفع نادية ممسكاً بها من الخلف كطفلته خوفاً من ان تسقط، وهي تغرق نفسها في سعادة مفرطة، في أحساسٍ يشبه أكلها للشيكولاتة. فإذا سألت المرأة عن أجمل لحظاتها، تخبرك بأنها وقت الاختلاء بقطعه كبيرة من الشيكولاتة اللذيذة. حين تذوب بأوجاعها وأفراحها، وتستلذ بلحظات السعادة المؤقتة التي تهديها إليها تلك القطعة.

لطالما كان ركوب الدراجة _رغم سخافته_ حلماً يداعب نادية منذ رأت أخيها يركب أول دراجة أحضرها له والدهما. ولكن

طلبها قوبل بالرفض، فقط لأنها فتاة، ولا يحق للفتيات ركوب الدراجات، لأنه عيب.
ذهبت يومها إلى العمل وهي تتراقص، وعلى شفتيها ابتسامة ترحيب بالجميع. التقتها شهيرة وعلى ملامحها ملامح لا تقل عنها سعادة..
_ما سر هذه الابتسامة يا شهيرة؟
_لا شيء..
_هل تخفين عني شيئاً؟
_أسمعي أنا نفسي لم أصدق.. هل تعرفين ريتشارد الموظف بقسم التصميمات؟
_ماذا به ؟
_لا أعلم ولكنه أخذ يتأملني طويلاً اليوم.. وأعتقد أنه يحاول التقرب مني.
_هل تريدين أن ترفعي عليه قضية تحرش؟ ذلك الوغد سأريه..
_لا انتظري.. ليس هذا ما قصدته.. على ما يبدو هو معجب بي.. لقد دعاني لشرب القهوة، وأنا لا أدري ما عليّ فعله.
_إن كنتِ تشعرين بالراحة تجاهه، فأذهبي لشرب القهوة. ولكن هل تعتقدين ان علاقة كهذه ستنتهي كما تريدين؟

_لا أدري.. ربما يأتي اليوم الذي أتزوج فيه مرتدية ثوب زفاف أمي وأنا أُزف في ذات الكنيسة التي تزوج فيها والديّ.

همست نادية لنفسها بتعجب "الكنيسة"، وكأنها تتذكر بذلك شيئاً لم يجل بخاطرها قبلاً. فرغمِ السنوات التي قضتها مع شهيرة لم تدرك أنها مسيحية حتى الآن..

_ها.. ماذا افعل الآن؟

_هل رفضت؟

_كلا.. ولكني تركته دون إجابة.

_إذاً..

_أعتقد أنني سأوافق على احتساء القهوة معه.

_إذاً أركضي هيا.. أذهبي إليه وأخبريه بموافقتك.

_لا.. لا أرغب بأن يشعر بأنني... تعلمين..

_إذاً أتصلي به وأخبريه بموافقتك.

_ربما.. حسناً.. سأتصل به..

_مممممم.. لا يوجد أجمل من الحب.. صدقيني..

_لا أصدق أنني أسمع هذا الكلام منكِ، ولكنها الحقيقة.

تنهدت كلتاهما بعمق، وكأن الأنفاس تخرج من القلب هذه المرة وليس من الرئة. الحب كالجنون لا يمكن شفائه، فما أن يصاب

الإنسان به حتى يصعب عليه العودة إلى الواقع مرة أخرى. لهذا نشقى في عالمنا المرضي، كلما فقدنا من نحب.

****

(١٧)

مضى العام الثاني على زواج نادية بدون أنجاب، كانت تلك الفكرة التي راودت نادية من الحين للأخر ولكن نظام عملها منعها كثيراً من أخذ الموضوع بجديه. ولكن العمر يمضي، وحبها لمهند يزيد. ترغب بإسعاده وإكمال صورة العائلة بطفل صغير يشاركهما حياتهما. في الوقت الذي كانت تحكي فيه لشهيرة عن رغبتها الشديدة بالإنجاب وتفكيرها الجدي في ذلك، كانت شهيرة أيضاً تبادلها الشعور بالرغبة الجدية في الارتباط السريع بريتشارد بعد أن تمت خطبتهما. فقد كانت العائلة تمثل لشهيرة أهمية تفوق أهمية العمل، وما زال حلمها كفتاة شرقية يراودها من حينٍ لأخر. حلم كهذا يُغرس في الفتاة منذ الصغر، فتكبر وهي تعد نفسها لتكون زوجة وأم، ليصبح أكبر طموحاتها أن تحصل على زوجٍ يشاركها حياتها، وينقذها من لقب عانس الذي سيطاردها لبقية حياتها.

_سأخبر اليوم مهند عن رغبتي بالإنجاب. يجب أن يعرف أنني أرغب بقطعة منه تشاركني حياتي وحبي له.

_أنا أيضاً سأحدث ريتشارد عن موضوع الإسراع بالزواج.. فالعمر يمضي وأنا أرغب بإكماله معه.

_فلتخبريني ماذا سيحدث معك.. أعتقد أن ريتشارد سيفرح كثيراً.

_أعتقد ذلك أيضاً.. فكثيراً ما كان يشعر بترددي من الزواج به.. أرغب بالتخلص من هذا التردد.

حديث كلتاهما مثّل لهما مستقبلهما، فكلاً منهما كانت تبحث عن عائلة تحتضنها، عائلة من صنعها تفخر بها.

أتت النتائج مرجوة بالنسبة لشهيرة، فقد سعد ريتشارد كثيراً برغبتها في تقديم موعد الزفاف، على العكس من نادية الذي طلب منها زوجها التمهل قليلاً في هذا الموضوع حتى يصبحا جاهزين لحمل مسئولية طفل.

تنظر له غاضبة، لا تعرف لكلامه سبباً..

_لا ينقصنا شيء.. فما الداعي لتأجيل الموضوع؟

_يا حبيبتي.. يكفيني أنتِ الآن.. فلنؤجل الموضوع قليلاً.

_ولكنني على استعداد لحمل مسئولية طفل.. أرغب بذلك بشدة.

_ولكني لست على استعداد لحمل هذه المسئولية مثلك.

هكذا أجابها، وهو يترك لها الغرفة. أثار حيرتها بتراجعه عن أخذ أهم خطوة في حياتهما معاً، فكيف يخبرها بحبه ويرفض في ذات الوقت أن يأتي بطفلٍ منها. هل هناك سرٌ يخفيه عنها؟ ربما

كـان مريضـاً أو أنـه غيـر قـادر علـى الإنجـاب؟ أذاً لمـاذا لا يصارحها؟ هكذا تساءلت في نفسها دون إجابة.

مرت الأيام ولـم تفتح ناديـة موضوع الإنجاب مرة أخرى، حتـى تجد طريقة تقنعه بها أنـه ربمـا يغالي بـالأمر لخوفـه مـن وجـود طفل جديد.

في هذا الوقت كانت شهيرة تستعد لزفافها، وتقوم بتوزيع كـروت الدعوة الخاصة بموعد الزفـاف علـى جميـع من بالمجلـة. طرقت البـاب طرقـاتٍ تـدل علـى سعادتها، ودخلت مكتـب ناديـة تـدعوها لحفل زفافها.

_مبرووك يا شهيرة.. لا تعلمين كم أنا سعيدة لأجلك.

_شكراً لك يـا ناديـة.. فـي الحقيقـة أنتـي مـن ساعدني كثيـراً حتـى أصبحت على ما أنا عليه. الفضل كله يعود لكِ.

_لا تقـولي هـذا.. لقـد كنـتِ لـي بمثابـة الأخـت قبـل أن تكـونِ مساعدتي.. أخبريني متى الزواج؟

_لقد اتفقت أنا وريتشـارد علـى السفر إلـى القـاهرة، حيث سنقيم حفـل زفافنـا فـي الكنيسـة التـي تزوجـت بهـا والـدتي ووالـدي.. وستقيم لي الفتيات هنا حفل توديـع العزوبيـة كمـا يسمونـه.. ألـن تأتين؟

_كلا.. فلدي الكثير من الأعمال اليوم.

_ إذا انتهيت مبكراً، فهاك عنوان النادي.. سأكون سعيدة لو حضرت.

_حسناً.. أعدك لو انتهيت مبكراً سآتي بالتأكيد.

قالتها وهي تلقي نظرة سريعة على بطاقة النادي، قبل أن تضعها جانباً وتواصل عملها.

الساعة التاسعة مساءً وهي ما زالت تعمل، هل اتخذت العمل نوعاً من الهروب من مواجهه مهند، أم أنها تحاول شغل نفسها عن التفكير بالموضوع نفسه؟ شتان متضادان، لم تعرف لهما كيفية إلا أنها شعرت بالملل، فقررت الذهاب لحضور حفل شهيرة والعودة للمنزل مبكراً قبل عودة مهند. بحثت عن ورقة النادي، أخذت التاكسي وذهبت إلى هناك. كان المكان يعج بالنساء ممن يحتفلن، وبالرجال ممن يرقصن على مسرح يتوسطه عمدانٌ حديدية. لم يرق لها المكان كثيراً، فقررت الدخول لتعلم شهيرة بحضورها ولتبارك لها، ثم تغادر.

_اجلسي سيخرج الراقص الآن.. لتبدأ الحفلة.

هكذا أخبرتها جوان وهي تجذبها من ذراعها..

_لا أستطيع يا جوان.. فمهند سيعود باكراً الليلة.. وشهيرة تعلم

ذلك.

_لا بأس يا جوان.. اتركيها.

اقتربت شهيرة منها تهمس لها..

_خذيني معكِ، فأنا لا أرغب بتلك الأشياء.. لم أتوقع أن تكون الحفلة على هذا النوع الذي أبغضه.

_وماذا عنهن؟ اسأليهن إذا رغبن بتغيير المكان.

_ما رأيكن يا فتيات بتغيير المكان ؟ فأنا لا أرغب بالبقاء هنا.

_ألم يعجبك المكان.. لقد تعبنا في تجهيز المفاجأة.

_لا بأس أقدر تعبكن، ولكن كان عليكن سؤالي في شيء كهذا.

طوقتها جوان بذراعها وهي تضحك..

_وكيف تكون مفاجأة إذاً؟

_لا بأس يا جوان، فما فعلتنه لأجلي كثير بالفعل.. ولكن حبذا لو نغير المكان.

_حسناً هيا يا فتيات.. كما ترغب العروس سوف نفعل.

هممن بالرحيل حين بدأت حفلتهن، وبدأ أول راقص بالخروج. نظرت نادية باشمئزاز للمسرح، الذي حمل لها هدية صادمة لم تصدقها عيناها. إنه مهند يتراقص على نغمات الموسيقى الصاخبة، بينما النساء من حوله يصرخن. اقتربت منه أكثر

بينما الجميع ينتظرها بالخلف..

_مهند!!

_نادية!!

_لا أصدق ما أرى.. أنت.. أنت..

_نادية انتظري..

لكنها لم تنتظر، فقد ركضت نحو الباب، تتبعها شهيرة وبقية الفتيات.

لا تكتفي الحياة بصفعنا مرة، فكيف لها أن تفقد لذة تعذيبنا. تبدو بداياتنا مفعمة بالأمل، حتى يمر عليها قطار الحياة بكل ما يحمله من ثقل.

****

(١٨)

عندما نصطدم بواقعنا نهرب، ولكن واقعنا قد يضيق علينا، فلا نجد مكاناً للهرب منه. نحاول الاختباء تحت الأسرّة كالأطفال، بينما نراقب ظلاً ما يخيفنا يقترب نحونا.

أنهت شهيرة الليلة بالعودة مع نادية لمنزلها، بعد أن اعتذرت لصديقاتها عن قضاء الليلة معهن. أما نادية فبكت ليلتها وكأنها تبكي عمرها كله، وكأن الآلام اجتمعت عليها مرة واحده تمزقها. العقل يستنكر كل ما حدث، بينما القلب لا يدري أي اتجاه يسلك.

ترفع رأسها بين أحضان شهيرة التي احتضنت حزنها...

_لماذا فعل هذا بي؟ لم أعد أستطيع النظر إليه.. أشعر بأنني أكرهه.. أكرهه بشدة.

_أتفهم شعورك يا صديقتي ولكن يجب أن تسمعي منه، وما الذي دفعه للكذب عليكِ.

_لا أرغب بسماع شيء.. أرغب بسماعه يطلقني فقط.. لن أستطيع العيش معه مرة أخرى بعد ذلك المنظر البشع.

أقسى شيء على المرأة أن يسقط من نظرها من تحب، فما عادت تراه كما كان ولا كما هو. بالنسبة لنادية لا مبررات قد تعفي قلبها من نسيان جرحه، أو من طلب المغفرة لمهند. حضر

مهند وقد بدت عليه معالم الخجل، أو ربما احتقار الذات. ما أن رأى نادية حتى علم أنه قد فقدها، وأن ما من كلمات سوف تعيدها له. ولكنه أراد أن يشرح لها أعذاره، وما الذي دفعه للكذب عليها، لعل هناك قليلٌ من الأمل والتسامح يدعوها لمسامحته. استأذنت شهيرة بالرحيل، تاركةً كليهما معاً على أمل أن ينتهي الوضع بسلام. أغلقت نادية باب غرفتها، وأصرت على عدم رغبتها برؤيته أو حتى التحدث معه. جلس بجانب باب غرفتها، تسبقه دموعه قبل كلماته إليها. كلماتٍ تدعوها أن تغفر له، كلماتٍ تقسم أنه ما زال يحبها وأنه كذب عليها كي لا يخسرها. أسند رأسه للباب يحكي لها عما دفعه لفعل ما فعله...

_كنت طالباً في كلية الطب، لكن ظروفي لم تساعدني على إكمال حلمي.. سافرت إلى هنا بحثاً عن عمل يساعدني على بناء مستقبل لي، ولكن الحياة والغربة لم تساعدني كثيراً، خاصة وأنني كنت مسئولاً عن أسرة توفي والدها.. عملت في غسل الصحون قليلاً، لم أكن أكسب إلا ما يساعدني على النجاة في هذه المدينة الموحشة.. دعاني صديق لقضاء يوم في لاس فيغاس.. أخذت ما تبقى معي من مال.. حاولت تجربة حظي هناك في أحد النوادي ولكن للأسف خسرت ما تبقى معي.. حالي كان

أسوأ من ذي قبل.. دعاني أحدهم لشرب القليل من الويسكي بعد أن رأى ما حدث لي.. ولأول مرة شربت وأنا أفضفض له عن مشكلاتي ولم أكمل الكأس الثاني حتى سقطت مغشياً عليّ.. أفقت بعدها بفترة لأجد صديقي وقد فقد عقله خوفاً من أن يكون أصابني مكروه، وبجانبه كان يقف ذات الرجل الذي عرض عليّ لاحقاً العمل معه في أحد ملاهيه.. وهكذا عملت معه وربحت الكثير ولكني لم أشعر يوماً بالسعادة.. كنت أشعر بأنني أخطئ في حق نفسي وفي حق جميع من أحبهم.. حاولت السفر لعلي أجد ملاذاً أخر أهرب إليه بعيداً عن عالمي المتهاوي.. وحينها التقيتك.. وجدت فيكِ براءتي الضائعة.. أعدتني إلى حيث كنت إنساناً.. لم يكن شيء في الوجود ليمنعني عنكِ.. ولكني خفت إن عرفت من أنا ترحلين تاركةً أياي أتخبط هنا وهناك.. الجزء الوحيد النقي بداخلي سيختفي تاركاً لي الظلام.. بدونك كان يمكن ان أموت منتحراً..

فتحت الباب ببطء لتراه في حالة يرثى لها، تتساقط دموعه وقد بدا عليه الندم الشديد. رآها وقد ارتدت ملابسها تهم بالمغادرة. أمسك يدها يتوسل لها ألا تتركه، وأخذ يقطع لها الوعود بأنه سيترك عمله، بل سيترك العالم لأجلها.

التفتت له، كلماتها لا تكاد تغادر لسانها..

_لا أستطيع البقاء مع شخص يعرض نفسه كل يوم للبيع. طلقني.

_أرجوكِ أعطني فرصة أخرى.

_فرصة أخرى؟! ليت من السهل إعطاء الفرص.

سحبت يدها من يده، وغادرت شقتهما، تاركةً إياه في حالة من الذهول-أو ربما الجنون- الذي لا يطيقه. اتصل بشهيرة لعلمه بأن نادية لن تذهب إلى أحدٍ سواها. رجاها أن تساعده، وأن تقنع نادية أن تغفر له، لكنها سألته أن يتركها قليلاً كي ترتاح، ربما لتهدأ قليلاً قبل أن تقرر.

تبدو لنا المغفرة أحياناً أصعب من الذنب الذي نغفره، فمع كل صدمة تقل قدرتنا على إعطاء الغفران. كما أننا نعيش وقتها في واقع صدمتنا الكرتوني، نتخيل قدراتنا تزداد بشكل وهمي يمكننا من الانتقام أحياناً.

****

(١٩)

مر أسبوعان من العمل المضني لنادية، التي تحاول نسيان ما حدث، تحاول أن تمسك خيوط حياتها مرة أخرى. وأسبوعان من العناء والشقاء لمهند، الذي لم يعرف عنها شيئاً إلا من خلال شهيرة بعد أن رفضت التحدث إليه.

دخلت شهيرة مكتب نادية تذكرها باجتماع اليوم، كانت نادية تعمل بجهد يبدو كالانتحار، في محاولة جاهدة لمنع نفسها من التفكير.

_لماذا لم تأخذي إجازة؟ أنت تحتاجين لها هذه الفترة.

_لا.. لا إجازات.. الإجازات بالنسبة لي ستزيد من معاناتي.

_ما العمل الآن؟ أسمعيه على الأقل..

_سمعت ما فيه الكفاية. سأتجه الآن إلى غرفة الاجتماعات. احضري صور الغلاف الجديد وألحقي بي.

_لطالما كنتِ عنيدة يا نادية.

_عنيدة؟! قولي لطالما كُنت حمقاء يا شهيرة.

توجهت لغرفة الاجتماعات بين نظرات الشفقة التي تحيط بها، بينما هي لا تلقي بالاً لها. لحقت بها شهيرة بسرعة حاملة ما طلبته منها. استأذنت نادية وخلفها شهيرة بالدخول، جلست

نادية على الكرسي المجاور لمديرة المجلة التي أخذت تفتتح الاجتماع..

_أولاً أرحب بالجميع.. ثانياً أرغب بأن أرى ما تم إعداده لهذا العدد.

_لقد قمت بتصوير بعض اللقطات الخاصة بموضوع الربيع.. يمكنك الاطلاع عليها واختيار المنظر المناسب.

أخذت مديرة المجلة الكتالوج من يد شهيرة، وبدأت تتفحص صفحاته، وبدون النظر لنادية..

_تبدين متعبة يا نادية.

_هه.. لا لست كذلك.. ألم تعجبك الصور؟

_الصور لا تقل إبداعاً عما قدمته مسبقاً.. أنا أتحدث عنكِ.

_أنا بخير.

_أرجوكِ علقي هذه الصورة على الحائط.. كما ترون أرى أن تكون هذه الصورة هي غلاف العدد.. ما رأيكم؟

أخذت نادية الصورة، وقامت بتعليقها على حائط النقاشات الخاص بكل عدد. ولكنها فجأة شعرت بالدوار وفقدان التوازن، فسقطت مغشياً عليها. نقلها أصدقاؤها إلى مكتبها لترتاح، وضعت شهيرة القليل من العطر على يدها وقربته لأنف نادية،

في محاولة لإفاقتها. أفاقت نادية لتجد حولها بعضاً من الموظفين وشهيرة بجانبها..

_ماذا حدث؟

_لا شيء.. فقدت وعيك فأحضرناكِ إلى هنا.

-أنا بخير الآن.. فلنكمل الاجتماع.

_لقد طلبت مني السيدة سارة أن أقدم لكِ إجازة.

_كلا.. لا أرغب بالإجازات.

_هذا أمر منها وليس طلباً. أرجوكِ عودي الآن للمنزل.. سأكمل أعمالك وسألغي موعد التصوير اليوم وسألحق بكِ.

ومع إلحاح من شهيرة، استسلمت نادية لطلبها...

_حسناً.. سأعود الآن.. ربما أحتاج اليوم للراحة.

لم تشعر نادية بالرغبة للعودة إلى المنزل، واكتفت بالذهاب إلى الحديقة للجلوس هناك. أحضرت قهوتها المفضلة، وأخذت ترتشفها وهي تتأمل الناس حولها والأطفال الذين يلعبون بجانبها. شاركتها المقعد امرأة بدا عليها الحمل في الشهور الأخيرة، جلست تراقب أبنها البالغ من العمر ثلاث سنوات يلعب. ألتفت إليها وهي تبتسم...

_هل لك طفلٌ هنا؟

انتبهت لسؤالها...

_أنا؟ لا.

_مرحباً.. أنا كاثرين.

_أهلاً.. أنا نادية..

_تشرفت بمعرفتك نادية.. أراكِ تحبين الأطفال. هل تنتظرين طفلاً؟

_لا.. لا أعتقد ذلك.

_أتذكر مولد طفلي سام.. لم أعرف بحملي به برغم التعب الذي داهمني. لم تكن فكرة الأطفال تواتيني وقتها.

_تعب؟!

_نعم.. دوار ويأتي بعدها الغثيان والقيء... إنه التعب الذي ينتهي بمنتهى اللذة.

_كيف يجتمع التعب واللذة؟

_عندما أنظر لطفلي أعلم أن تعبي انتهى بشيء لذيذ يدعى سام.

صمتت قليلاً وهي تفكر في إمكانية حدوث ذلك لها، تربط أحداث اليوم بما قالته كاثرين...

_يا الهي!! هل يمكن أن أكون.. ؟ لا أصدق.

فكرة أن تكون حاملاً في طفل حيرتها-أو ربما أسعدتها- لدرجة جعلتها تذهب للمستشفى لعمل الفحوصات. وجود طفل في حياة نادية سيكون سبباً في انقلاب حياتها مائة وثمانين درجة من السعادة. فالأمومة حلم يطارد كل أنثى في صحوها ومنامها، كالإدمان تشتاق لسماع تلك الكلمة التي يرجف لها قلب كل أنثى. كلمة لا تعوضها أي كلمة حب من رجل، كلمة أمي.

أنهت نادية فحوصاتها، وانتظرت ظهور النتائج في ملل. لا تدر كم ظلت تتململ في جلستها إلى أن دخلت الطبيبة إلى الغرفة ومعها الفحوصات، وهي تنظر لها بتعمق..

_ها.. ما هي النتيجة يا دكتورة؟ هل أنا....؟

_للأسف لا..

أصابتها وهلة من الإحباط، فعادت تسألها...

_إذاً كان إغمائي نتيجة مجهود...أليس كذلك؟

_لا أيضاً.

_إذاً ما السبب؟

_تدل الفحوصات على أنك مصابة بسرطان الدم.

_ماذا؟ ولكني بخير.. ربما اختلطت الفحوصات مع شخصٍ أخر.

_للأسف هذه فحوصاتك التي قمت بها منذ قليل.. المرض لديكِ

فــي حالــة شــبة متــأخرة.. ولــذلك يجــب علينــا البــدء بجلســات الكيماوي.

_ماذا؟ ألا يوجد علاجٌ أخر؟

_للأسـف لا.. ولكـن يجـب أن أخبـرك أنــه ربمــا ســيتحتم عليـكِ فقدان....

_شعري و.... أنوثتي..

_المهم الآن أن نبدأ بالعلاج.. سأحدد لكِ موعداً لبدء الجلسات.

_أرجوكِ لا تفعلي.. فلن أقوم بها.. لا أحتاج لجلسات علاج.

_ولكن ذلك سيؤدي بكِ إلى...

_الموت... لم أعد أأبه للموضوع.

_أنا أحذرك من قرارك هذا، وسأنتظر منك التراجع عنه.

_أشكرك على هذا، ولكني لن أتراجع عنه.

غـادرت المستشـفى وهـي أكثـر شـقاءً ممـا كانـت عليـه، فحلمهـا بالأمومـة قـد ضـاع كمـا ستضـيع أنوثتهـا عن قريـب. الأيـام تمـر، وهي محتفظة بسرها لنفسـها، فلـم تكـن علـى يقين بـأن الآخـرين سيتفهمون حاجتها للموت. لم تكن شهيرة لتدعها، وماذا أن علـم مهند؟ أفكار كثيرة حيرتهـا. فضلت علـى أساسـها تـرك كـل شـيء كما هو جميل، بلا حزن.

لا نطلب الشقاء للآخرين كما نطلبه لأنفسنا، نكتفي بوضـع آلامنـا في صندوقنا الأسود على أمل ألا يجده احد.

****

(٢٠)

شعرت نادية في هذه الفترة بحاجتها الشديدة للارتماء بين أحضان والدتها، كانت تشعر بالحنين إلى عائلتها. ففي أكثر الأوقات ضيقاً نحتاج إلى أشخاص فقدناهم، في وقتٍ لم يعد للأحياء فيه قيمة. لذا قررت العودة إلى مصر لقضاء بعض الوقت، وبالفعل أخذت إجازة من المجلة، ورحلت دون أن تخبر شهيرة حتى.

_وصلنا إلى مطار القاهرة..

هكذا نادى الطيار، نظرت من نافذة الطائرة إلى الأرض التي اشتاقت لها كثيراً..

_ما أجملك.. كم اشتقت إليكِ...

ما أن وصلت لأرض المطار حتى قامت بالاتصال بأخيها، لتخبره بخبر وصولها..

_الآن تذكرت ان لك أخاً..

_أرجوك.. لقد عدت لكي أنهى الخلاف بيننا.. فأنا أحتاجك.

_أين أنت الآن؟

_أنا بالمطار الآن.. سأركب التاكسي وأحضر إليكم.. هل ستستقبلني في بيتك أم....؟

_بيتي مفتوح لكِ يا أختي.. فليس معنى اختلافي معك أن أتبرأ منكِ.. أنتي لحمي ودمي.

_لا تعلم.. كم تسعدني هذه الكلمة..

أغلقت الهاتف وهي تشعر بالسعادة لعودتها إلى أحضان وطنها وعائلتها – أو ما تبقى منها- على الأقل. كانت ترغب بكل ما فيها أن ترتمي على الأرض الدافئة تحتضن ترابها، تنظر لسمائها وتتنفس هوائها الذي أعادها إلى كل ذكرى حاولت نسيانها. لم يكن لدى نادية نية إخبار أخيها بمرضها، اكتفت فقط أن تمضي وقتها وهي تشعر بالدفء والطمأنينة، فلم يعد شعور الغربة يؤرقها.

في الوقت الذي اكتشفت فيه شهيرة ابتعاد نادية عن البلاد، بدون سابق إنذار، أتصل مهند يسأل عن حال نادية، لتفاجئه شهيرة بخبر سفرها لمصر وطلبها إنهاء متعلقاتها وإرسال أشياءها إلى هناك. كاد مهند يجن وقد شعر بأنه السبب الذي تركت نادية لأجله حياتها كاملة. ولكن حبها الذي سيطر على مشاعره الهائمة دفعة لأخذ قرار السفر إليها، رغبةً في استعادتها، مهما كانت الظروف والمحن التي سيواجهها. فالوقت الذي مر به بعد أن تركته جعله يوقن أن حياته بدونها عبارة عن سراب، حتى

أن الأرض لم تعد تدور كما اعتادت.

كثيراً ما نشعر بالعجز ما أن يغيب من نحبه عن الوجود، حتى أننا نصبح عاجزين عن الحياة. تصبح الدنيا أمامنا خالية من كل شيء، لا طعم..لون..أو رائحة قد تشعرك برغبة العيش فيها. لم يكن الفراق شيئاً نهواه يوماً، فهو يرحل تاركاً لنا آلامًا تضني مضاجعنا، لا أننا نسيناها ولا أننا عالجناها. فعامٌ واحد بدون الحب، كعامٌ بلا مطر، جاف ومقحل لا ينبت بالخير.

حجز مهند أول طائرة إلى القاهرة، وأستقل أول تاكسي إلى العنوان الذي أخذه من شهيرة، والذي طلبت نادية إرسال أشيائها عليه..

_ها قد وصلنا يا سيدي.. هذا هو المنزل.

_حسناً.. أشكرك.

نزل مهند من التاكسي يتطلع أمامه ناظراً للمنزل، ثم صعد إلى الشقة المقصودة وتوقف أمام بابها متردداً يتساءل ماذا ستكون رده فعل نادية عند رؤيته. أستجمع شجاعته، ورن جرس الباب، دقائق حتى خرج له رجل في أواخر الثلاثينات، يرتدي بيجامة المنزل، ينظر إليه ويسأله عن هويته..

_أنا مهند.. زوج نادية..

نادية!! أهلاً وسهلاً بك.. تفضل.

دخل مهند المنزل، وهو يتلفت يميناً ويساراً لعله يرى نادية حتى وإن كانت رؤيتها ستأتي صدفة. ولكنه سيصل لباب الصالون، ولم يرها بعد.

"لعلها بالخارج.. أو ربما لم تعرف أنه أنا"

هكذا همس لنفسه عندما قاطع تفكيره أخوها إبراهيم..

_تفضل يا أستاذ مهند.

_أشكرك يا سيدي.. أين نادية؟ هل هي هنا؟

_لقد أخبرتني نادية عنك.

_أخبرتك عني!! ترى ماذا قالت لك؟

_قالت كل خير.. كيف التقيتها وكيف أحببتما بعضكما حتى تزوجتما... ثم توقفت بعد ذلك عن الحديث عنك.. وأنا لم أرغب بمعرفة ما حدث حتى لا أزيد من حزنها.. ولكني الآن ارغب بمعرفة ما حدث منك.

_لا أستطيع أن أخبرك بشيء سوى أنني مازلت أحب نادية، وقد حضرت لهنا من اجلها لأثبت لها أنني أحبها ولن أتركها أبداً.

_لا أريد أن أتدخل بينكما.. فإن كان هذا سراً فلا بأس.. هذه

أسرار عائلات.

_أرجوك أريد أن أراها.

صمت إبراهيم لوهلة، ثم أبتسم ..

_ستراها ولكن بعد تناول الغداء.

خرج إبراهيم من الصالون، تاركاً ضيفه هناك يستعد لرؤية نادية، وهو يفكر في كلماته التي سيقولها لها لتعود إليه.

_لماذا أخبرته أنه سيرى نادية؟

هكذا بادرته زوجته، بعد أن استرقت السمع وهما يتحدثان...

_لا أدري.. من حقه أن يراها.. إنها زوجته.

_ولكنك تعلم..

_أصمتي الآن وأعدي لنا الطعام.. فسنذهب إلى نادية بعد الغداء... كما أخبرته.

أعدت الزوجة طعام الغداء، بينما مهند يعد الدقائق والثواني حتى ينتهيا. كانت رغبته في لقاء نادية شديدة، ولكنه لم يرغب بإزعاج أخيها بذلك، فترك الأمور تمر بهدوء. انتهى مهند من تناول طعامه بسرعة، والرجل ينظر إليه وقد فطن إلى رغبته. فارتدى ملابسه بدوره وأتجه إلى سيارته بصحبة مهند. وهكذا قاد إبراهيم سيارته في الطريق اللي حيث نادية. توقفت السيارة

فجأة بجانب المقابر...

_لماذا توقفت هنا؟ سنتأخر على نادية.

_أعتذر منك.. فأنا بجوار قبر والدتي ووالدي ورغبت بقراءة الفاتحة.. إن لم يزعجك هذا.

_حسناً.. لا بأس.

_هيا أنزل.

_هل سآتي معك؟

_ألا ترغب بالتعرف على والديّ زوجتك؟

شعر مهند بالإحراج قليلاً..

بالطبع كنت أتمنى برؤيتهم.

_إذاً هيا بنا.

ترجلا من السيارة وتوجها إلى المقابر، حيث قبر والدا نادية. وبعد ان قرأ كلاهما الفاتحة، جذب مهند من يده وذهب به إلى مكان قبرٍ أخر..

_لمن هذا القبر؟

_اقرأ الشاهد وأنت تعرف.

قرأ مهند شاهد القبر "هنا ترقد ابنة وأخت أحبها وأطلب من الله أن يسكنها جناته"، نظر سريعاً إلى أسم المتوفى وقد أصابه

الشك. كان اسم نادية منحوتاً على شاهد القبر، لم تكن عيناه لتصدق ما رأته، فكيف لها ان تموت وهي لم تعاني يوماً مرضاً. ربما كان هو السبب، ربما لم تتحمل فعلته فانتحرت، أسبابٌ عديدة دفعت به إلى الجنون.

_لماذا لم تخبرني بوفاتها؟

_وهل كنت لتصدق ما سأقوله لك؟ لا اعتقد أن الرجل الذي أحب نادية ذلك الحب سيقبل بهكذا إجابة.

_ماذا حدث لها؟ وكيف؟

_أخفت عنا جميعاً مرضها.. لقد عانت من سرطان الدم الذي قضى عليها في فترة قصيرة.

_سرطان الدم؟ ولكن ماذا عني الآن؟ ماذا سأفعل بدونها؟

_اتق الله يا أخي، وأسأله أن يرحمها.. سأتركك معها قليلاً.

أن يرحل من نحب عن وجه الأرض.. أن تشعر بأن الوقت سيمر بدون وجوده بجانبك.. أنك لن تراه من جديد كلما رغبت بذلك.. لن يسمعك مرة أخرى إن حاولت التحدث إليه.. صعب وقاس كسكرات الموت.. أو كنزع لحمك عنك وأنت حي. فالحب هو الوحيد الذي يجعلنا لا ننام.. عذابه يقتلنا ببطء.. كالسم الحلو

الذي لا طعم له ولكن ألمه قاتل.. لا نختلف كثيراً عندما نحب إلا في تعابيرنا المستخدمة للتعبير عنه.. ولا يختلف الألم الذي يتركه لنا.. فالجميع يتألم.. فالجميع يحب..

تركه إبراهيم وعقله الواعي واللاواعي ما زال ينكر موتها أو حتى يصدقه. فهل سيصلح النسيان ما حدث، أم أن ذاكرته لن تحوي غير ذكراها ورائحة عطرها الذي يلف وشاحها الأخضر. لم يعد مهند إلى أمريكا، بل ظل مرافقاً لقبر نادية. يجالسها ليلاً ونهاراً، حتى اعتبره بعض الناس مخاوياً أو مجنوناً.

****

(٢١)

كان كابوساً مريعاً حمدت الله على استيقاظها منه قبل أن يزهق أنفاسها.

فما أن لمست كف الطبيبة كتفها في إشفاق حتى انتفضت شاهقة للهواء في عنف وهي تتأملها بعينين زائغتين وكأنها لا تصدق أنها ما زالت على قيد الحياة. وبصوت مهزوز من أثر النوم اعتذرت بحرج..

_أعتذر منكِ.. يبدو أنني غفوت قليلاً.

_لا بأس.. يبدو عليكِ التعب..

نظرت إليها بعينين يملؤهما الأمل والخوف، فهل تتحقق رؤياها بموتها أم تكرمها الحياة بفرصة أخرى..

_إذاً.. ما هي النتيجة؟

_النتيجة إيجابية. أنتِ بالفعل حامل.

ترقرقت عيناها بالدموع، وأخذ قلبها يرقص على أوتار الأمل والسعادة. خرجت من المشفى وهي تكاد ترقص في الشارع، ترغب في إيقاف كل من تقابله لتخبرها بأنها تحمل في أحشائها حباً. ولكنها توقفت فجأة خوفاً على طفلها، وأخذت تمشي ببطء وهدوء، وعلى وجهها تلك الابتسامة العريضة التي تعجب

لرؤيتها. فهكذا هي الحياة تعطيك قبل انطفاء ضوء شموعك بلحظات، ضوءًا جديداً. كثيراً ما نضيع أضوائنا السابقة في النظر إلى الظلام وليس إلى نورها الجميل، فما أن نمنح ضوءاً آخر حتى نفكر ألف مرة قبل أن نلتفت إلى الظلام.

أوقفت التاكسي، وطلبت من السائق أن يأخذها إلى منزلها حيث مهند. كانت لديها قوة جامحة تقودها إليه، ترغب في أن يكون أول من يعرف بما سيرزقان به. أسقطت رأسها على كرسي المقعد، وأسندت رأسها إلى النافذة. كان الجميع يمر من أمامها بسرعة، كحياتها التي مرت أمام عينها وهي عاجزة عن تداركها أو إصلاحها. حين أوقفها مشهد لطفلٍ صغير يمسك بيدي أخته بعد أن ناولها قالباً من الأيس كريم. ضحكت وهي تتذكر إبراهيم حين كان يحضر لها من مصروفه قالب الشيكولاتة خفية حتى لا يعلم والده بذلك حين كان يعاقبها بحرمانها من المصروف لسببٍ ما. يومها جاء أليها وقالب الشيكولاتة في جيبه، وحين أخرجه وجده قد ذاب بداخل جيبه..

_ما هذا يا إبراهيم؟ لقد ذابت الشيكولاتة بقرطاسها.

_أسف.. أظن أنني التهيت باللعب ونسيت موضوع الشيكولاتة بجيبي.

_لا بأس يمكننا لعقها، فهي بكل الحالات ستبدو لذيذة.
ضحكت ضحكة خافتة مره أخرى وهي تتعجب، كيف لها أن تعمى عن كل تلك التفاصيل التي كادت أن تفقدها جميع من يحبونها؟ لم تكن بحاجة كبيرة لتستجدي أخطائها، فخطؤها الوحيد أنها لم تعرف كيف تحب بصدق.
توقف التاكسي عند باب البناية، فنزلت منه وهي تركض نحو المصعد، ثم توقفت فجأة وبدأت بالمشي بهدوء، حين تذكرت مرة أخرى أنها تحمل طفلاً. طفلاً من الأمل في حياة جديدة تعوض فيها كل من لم تستطع إسعادهم، كل من لم تفهم معنى حبهم الحقيقي لها. أخذت تطرقع أصابعها في توتر وهي تنتظر الوصول للدور الذي تقطن به، وما أن فتح باب المصعد حتى هرولت باتجاه باب شقتهما. أخرجت مفاتيحها وتوقفت قليلاً وكأنها ترغب بإعادة النظر بما تفعله. ولكنها لم تعد ترغب بالنظر إلى الظلام. أدخلت المفتاح بالباب وفتحت باب الشقة بهدوء، حين قابلها ظلام الشقة مرحباً. كانت الشقة في حالة مزرية، وهناك صوت يأتي من غرفتهما. اقتربت قليلاً من ذلك الصوت. كان صوت بكاء مهند، الذي كان يسجد على الأرض باكياً في لحظة ضعف أمام خالقه، يستجديه ان يغفر له وأن يرد

له أنفاسه التي ذهبت معها. فتحت الباب بهدوء، ونظرت إليه وقد ملأها الحزن والشفقة مما رأته. فهاهو مهند ذاته يبحث عن لحظة ليعود به الزمن للخلف، يطلب المغفرة لرغبته بأن يصبح أنساناً أخر.

بصوتٍ يكاد يقترب على الاختناق..

_مهند.

ما أن سمع همسها حتى ركض إليها كالطفل ما أن يرى والدته بعد اعتقاده أنه فقدها، وكأنه نسي كل تلك الليالي المظلمة بدونها. ركض إليها يحتضنها، ويحمد الله أن أعادها له. استجداها ان تسامحه وألا تتركه، أخذ يتحدث ويتحدث، وهي تشعر بالقليل من تأنيب الضمير، فهل كانت لتتركه وقت حاجته لها دون مساعدته. كيف لها أن تصف حبها له بالصادق إن لم تكن جزءًا من مرحلة تغييره. كيف تناست أنه بشر له أخطائه كما لها أخطائها. ربما لأنها لم تعتد يوماً على التضحية، فكل من أحبوها ضحوا من أجلها، في حين لم تفكر يوماً ما سبب تلك التضحيات. نظرت إليه وقد أيقنت بأنه جاء دورها للتضحية وأن تقف بجانبه في رحلة تغييره.

ربتت على كتفه ليهدأ، ثم أخذت بيده واضعةً إياها على بطنها

وهي تبتسم..

_لن نتركك أبداً.

نظر إليها وهو لا يصدق، أيمكن ان تكون.. أيمكن انه سيكون..

_هل أنتِ...؟

هزت رأسها بالإيجاب وهي تكاد تبكي، ضمها إلى صدره بقوة..

_أحبك.. أحبك..

_وأنا أيضاً... أحبك يا والد طفلي.

سماعه لتلك الكلمة أثار بداخله مشاعراً اعتقد انه لم يمتلكها يوماً. شعر بالأمل والسعادة يطرقان باب قلبه، وأخذ يقسم لها أنه سيتغير وسيجد عملاً جديداً يليق بطفلهما القادم، وأنه سيفعل كل ما باستطاعته لإسعادهما.

نظرت له بحب..

_وأنا سأكون بجانبك وأنت تفعل كل هذا.. ولكن يجب علينا أولاً الذهاب إلى مصر.. أريدك ان تعرف أخي إبراهيم الذي قصرت بحقه كثيراً..

تبدو الحياة جميلة ما أن يملأها الحب والاحترام، فالحب ليس مجرد مشاعر نشعر بها أو كلماتٍ نسمعها، بل هو مواقف

وأفعال تطغى على كل مشاعرنا. الحب الحقيقي لا نعيشه بمفردنا، الحب يحتاج إلى أن تكون هناك في الضوء والظلام مع من تحب. فلم يكن للحب يوماً لوناً أو طعماً واحداً. نحن من نعطيه طعمه ونلونه بألواننا.

****

تمت بحمد الله

الكاتبة

رانيا حجاج

مصرية

حاصلة على درجة الماجستير جامعة القاهرة

قاصة وروائية

صاحبة مدونة (أمواج إنسان)

صدر لها مجموعه قصصية بعنوان (لاتيه) ٢٠١٣

حاصلة على العديد من الجوائز الأدبية

صدر عن هذه السلسلة:

١_ حقيقة حب	رباب فؤاد
٢_ ذات الوشاح الأخضر	رانيا حجاج
٣_ نصف ملاك	رباب فؤاد
٤_ حكاية سرية	عبير قائد